



الاقصى القريب

﴿ في علم البيان ﴾

تأليف

الامام زين الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن
عمرو التتوخي أحد أعيان المائة السابعة للهجرة النبوية

﴿ الطبعة الأولى ﴾

سنة ١٣٢٧ هجرية

يباع في محل السيد محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه

بمصر والاستانة

صحح على نسخة قرأها العلامة عز الدين ابو عبد الله محمد
الاميوطي على مصنفه سنة ٦٩٢ هجرية وعليها اجازة
المصنف له بخط أخيه العلامة عبد المجيد التتوخي

(مطبع بطة السادة بحوار محافظة مصر)



الاقصى القريب

﴿ في علم البيان ﴾

تأليف

الامام زين الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عمرو التوحي أحد أعيان المائة السابعة للهجرة النبوية

﴿ الطبعة الأولى ﴾

سنة ١٢٢٧ هجرية

يباع في محل السيد محمد أمين الخانجي الكتبي وشركاه

بمصر والاستانة

صحح على نسخةقرأها العلامة عز الدين أبو عبد الله محمد
الاميوطي على مصنفه سنة ٦٩٢ هجرية وعليها اجازة
انصف له بخط أخيه العلامة عبد المجيد التوحي

(طبعت بطبعة السادة بحوار محافظة مصر)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الكريم المتان • مفيض الفضل والاحسان • الذي خلق الانسان وعلمه
البيان • وأبدع في جوارحه خلق الانسان • وجعله لما شرفه به من العقل خبر ترجمان •
وميز يديه بالبيان • فكان آلة القلب في إحكام العمليات والاتقان • واستخلفه على ما في
الأرض من جاد ونبات وحيوان • فتصرف على ضعفه في الحجارة والحديد وكل ذي
بطش وأيد شديد في ألا كوان • فتعالى الله الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فكان •
نحمده على ما ألهم من الفهم والتبيين • ونزل علينا من الكتاب العظيم • ومنعنا به من
الغلق القوم والتزيين • ونصلي على محمد نبيه ورسوله خاتم النبيين • وعلى آله
الطاهرين وأصحابه البررة المنتجبين ^(١) والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين

(وبعد) فأتى ألفت هذا المختصر في علم البيان أجابة لسؤال من سأله • ورعاية
لما شرفه الله به من طلب العلم وفضله • متوخياً أن يكون كما رجاء وأمله • مبنياً على
تحقيق المعاني وتبينها والاختصار مبتدئاً فيه بما يجب تقديمه من القواعد المنطوية •
ومعاني الأدوات العربية • فقلت وبالله أعنضد وعليه أعتمد

العلم • حقيقة ما جزم به العقل ولم يعارضه احتمال الضد • فنعارضه احتمال ضعيف
كان ظناً ويطلق عليه اسم العلم مجازاً • • وان ساواه المعارض كان شكاً وان قوى عليه
كان وهماً

والعلم - ينقسم الى تصور وتصديق
فالتصور - ادراك الماهية من غير حكم كعلم الانسان بنفسه وبالسما والارض من
غير أن يحكم عليها بآيات أو نفي

(١) وقعت في الاصل مهمة من النقط فيحتمل ان تكون جيا وان تكون خاء اه

والتصديق - ان يحكم على ما تصور به بنبوت شئ له أو انتفاء شئ عنه كعلمه بأنه موجود وليس معدوماً • وان السماء مرتفعة ومتحركة • وان ليست الارض متحركة وبسمى المحكوم عليه موضوعاً • والمحكوم به محمولاً • والنسبة بينهما رابطة • والمجموع قضية • وذلك في اصطلاح النحاة المبتدأ والخبر • • ولا نفتقر الرابطة الى لفظ • وقد عبر عنها علماء المنطق بـ يكون أو هو فقالوا زيد يكون عالماً وليس يكون عالماً - هنا اصطلاح أبى نصر الفارابى وأقام المتأخرون مقام يكون - هو - الذى يسميه البصريون من النحاة الفصل والكوفيون العماد • والرابطة ان تقدمت على حرف السلب كانت ملفوظاً بها أو منبوبة فالتضية موجبة معدولة • وان تأخرت كانت سالبة بسيطة لأن السلب يصح عن الثابت وغير الثابت والاثبات لا يكون الا لاثبات • واذا كررت السلب في القضية كانت سالبة معدولة وهى أيضاً أعم من الوجبة المحصاة والمحصل ما ليس بمعدول • • وان اقترن بالقضية ما يملق حكمها بقضية ثابته لزوماً أو عناداً خرجت عن كونها قضية حتى تذكر القضية الثانية ايجاباً أو سلباً فيكون المجموع قضية شرطية وتسمى الاولى لزومية والثانية عنادية - مثال اللزومية - ان جاء زيد ذهب عمرو • ومثال العنادية - إما أن يجى زيد أو يذهب عمرو • • وتكون الشرطية اللزومية حقيقية اللزوم نحو ان كانت الشمس طالعة فالنهار موجود • وقد تكون غير لزومية ونجربى مجرى اللزومية نوكيداً لذلك الأمر - كقول القائل - ان قلت كذا فعلت كذا وان ملكت كذا انصدقت بكذا • • وقد نجى في كلام العرب اتفاقية كقول الشاعر

إن كنت ربحاً فقد لاقيت إعصاراً أو كمت بحراً فقد لاقيت تياراً

وتكون العنادية حقيقية مانعة للجمع والخلو وذلك اذا كان جزأها تقيضين أو مساويين للتقيضين نحو إما أن نكون الشمس طالعة وإما أن يكون الليل موجوداً • • وقد تكون مانعة للجمع دون الخلو نحو إما أن يكون العدد زوجاً وإما أن يكون خسة وذلك اذا كان أحد جزأها أخص من تقيض الثانى • فان كان أعم فهى المانعة للخلو دون الجمع نحو إما أن يكون العدد زوجاً وإما أن لا يكون أربعة

ومادة الحمل ضرورية وممكنة والضرورية هى التى يستحيل عدها ان كانت موجبة

ووجودها ان كانت سالبة . . . والممكنة هي التي لا يستحيل عديمها ولا وجودها ويصدق في مادة الامكان السلب والايجاب . . . وتنقسم الممكنة الى وجودية دائمة الوجود وغير دائمة الوجود والى عدمية دائمة العدم وغير دائمة العدم - مثال الضرورية - كل انسان ناطق ولا شيء من الانسان بحجر لا يصدق سلب الناطقية عن الانسان بوجه ولا اثبات الحجرية للانسان بوجه - ومثال الممكنة - كل انسان كاتب بالامكان ويصدق معها لا شيء من الانسان كاتب بالامكان وكل واحدة منهما ليست دائمة الوجود ولا دائمة العدم - ومثال الدائمة الوجود - كل زنجي أسود - ومثال الدائمة العدم - بعض الزنجي ليس أسود بالامكان . . . وبمثل ما فصلنا في الخلية فلن فصل في كل واحدة من الشرطيتين الترتوبية والعنادية ومادة القضية لا تتغير تلفظت بها أم لم تتلفظ . . . والناظر بالمادة أو ما يتضمنها يسمى جهة وتفرع الجهات الى خمس عشرة جهة ولا حاجة بنا الى تفصيلها ولا بأس بعددها . . . وهي الضرورية المطلقة . . . والضرورية المشروطة العامة والضرورية المشروطة الخاصة . . . والضرورية الوقتية . . . والضرورية المنتشرة . . . والوجودية الدائمة . . . والوجودية العرفية العامة . . . والوجودية العرفية الخاصة . . . والوجودية اللا ضرورية . . . والوجودية اللا دائمة . . . المطلقة العامة . . . والممكنة العامة . . . والاممكنة الخاصة . . . والاممكنة الاخصية . . . والمادية الاستيعابية . . . وأكبرها عمومها الممكنة العامة . . . ثم الممكنة الخاصة والمطلقة العامة اذ لا يخرج عن المطابقة العامة الا الممكنة الدائمة العدم ولا يخرج عن الممكنة الخاصة الا الضرورية المطلقة ثم الممكنة الاخصية ثم الضرورية ثم المشروطة العامة والعرفية العامة والوجودية اللا ضرورية الثلاثة سواء في العموم اذ تشتمل كل واحدة منها على قضيتين . . . وما بقي من القضايا الخمس عشرة وهي الضرورية المطلقة والمشروطة الخاصة والدائمة والعرفية الخاصة والوجودية اللا دائمة والضرورية الوقتية والضرورية المنتشرة بسائط اذ تدخل كل واحدة منها تحت العام وليس تحت واحدة منها قضية أخرى وهي التي اقتصمت المواد . . . والدائمة بحقل لفظها الدوام مع الضرورة والدوام من غير ضرورة لكنها في اصطلاحهم الدائمة اللا ضرورية ولم تستعمل عامة لانهم قسموا المطلقة العامة الى ضرورية ولا ضرورية واللا ضرورية

الى دائمة ولا داعة فلزم أن تكون الدائمة لا ضرورية والا لم تكن من أقسامها .. ولو
قسمت المطلقة العامة أولا الى دائمة ولا دائمة كانت الدائمة حينئذ تحفل بالضرورية
واللا ضرورية ويتشعب هذا التقسيم ويطول الكلام فيه فابتدؤا بقسمها الى الضرورية
واللا ضرورية ابشاراً للاختصار وحسن الترتيب .. والممكنة الاستقبالية ثم في الاستقبال
ما تعمه الممكنة الخاصة . وقد يكون المكرر في العنادية جزء القضية نحو جاء إما زيد
وإما عمرو . والعدل يكون في المفرد وفي القضية . والعدل في المفرد اقترانه بحرف
السلب نحو قولك في رجل لا رجل ويكون نقيض الأصل ومعناه ان وجود كل واحد
منهما يستلزم عدم الآخر وعدمه يستلزم وجوده وهو التناقض المفهوم من اللفظ
والتناقض المفهوم من المعنى وهو أن يقام مقام المعدول ما يساويه من غير عدل كما اذا
أقيم مقام لا حركة سكون ومقام لا متحرك ساكن فيكون الحركة والسكون نقيضين
والمتحرك والساكن نقيضين .. والعدل في القضية أن تكون موجبة تقتضى سلباً أو سلبية
تقتضى إيجاباً لتكون محمولها معدولا ويقال في القضيتين متناقضتان اذا لزم من صدق كل
واحدة منهما كذب الأخرى ومن كذبها صدقها وهي في الحلية صدق الحل وكذبه
وفي الشرطية صدق اللزوم والعناد وكذبه . ولا بد أن تكون القضيتان المتناقضتان
احدهما جزئية والأخرى كلية فأن كانتا كليتين قبل فهما متقابلتان ولا يجتمعان على
الصدق ويجوز اجتماعهما على الكذب وان كانتا جزئيتين قبل فهما اللتان تحت المتقابلتين
ولا يجتمعان على الكذب ويجوز اجتماعهما على الصدق .. وقد يستلزم صدق القضية
صدق عكسها المستوى وعكس القضية الحلية المستوى أن يجعل محمولها موضوعاً
وموضوعها محمولاً مع بقاء الصدق والكيفية وهي الإيجاب أو السلب .. وأما عكس النقيض
فالحق أنه لا يلزم صدقه غير أنه لا يكاد يقع الا صادقاً وتنقسم القضية الحلية الى ذات
موضوع شخصي وتسمى شخصية والشخصي الذي يتمتع نفس تصور معناه من وقوع
الشركة فيه كزيد وهذا - ومنال القضية الشخصية - زيد كاتب وهذا أخوك والى ذات
موضوع كلي والكلي ما لا يتمتع بتصوير معناه من وقوع الشركة فيه .. وتنقسم الى مهمة
ومحصورة فالمهمة كقولك - الانسان كاتب وليس طائراً - والمحصورة هي التي يحصرها في

الايجاب كل وبعض والمحصورة بكل تسمى كلية والمحصورة ببعض تسمى جزئية ويحصر السالبة الكلية لاشئ ولا واحد ويحصر الجزئية بعض مع تقديم حرف السلب وتأخيرها وليس كل . . وأمتنتها الموجبة الكلية كل انسان كاتب - والسالبة الكلية - لاشئ . أولا واحدا من الانسان كاتب - والموجبة الجزئية - بعض الانسان كاتب - والسالبة الجزئية - بعض الانسان ليس كاتباً . أو ليس بعض الانسان كاتباً . أو ليس كل انسان كاتباً - فالمحصورات أربع موجبة كلية . وموجبة جزئية . وسالبة كلية . وسالبة جزئية . والموجبة الكلية والجزئية تتعكسان موجبة جزئية والسالبة الكلية تنعكس سالبة كلية ولا عكس للسالبة الجزئية وعكس الموجبة المهمة ومعنى المهمة احتمال الكلية والجزئية موجبة جزئية ولا عكس للسالبة المهمة لاحتمال كونها جزئية . . وعكس الموجبة الشخصية ان كان محمولها أهم من . موضوعها موجبة جزئية وان كان محمولها مساوياً لموضوعها انعكست كنفسها موجبة شخصية . . والشخصية السالبة ان كان محمولها كلياً انعكست سالبة كلية وان كان محمولها شخصياً انعكست كنفسها شخصية . . أمثلة ذلك - الانسان ماش - عكسها - بعض الماشي انسان - زيد كاتب - عكسها - بعض الكاتب زيد زيد أبو عبد الله - عكسها - أبو عبد الله زيد زيد ليس كاتباً عكسها - لاشئ من الكاتب زيد . زيد ليس هذا - عكسها - هذا ليس زيداً . . وقد أوردت هذا بمجمل غير مبرهن فليتسلم مصادرة ومن أراد تفصيله وتحقيقه فليأخذ من موضعه أعنى المنطق وهذا سبيل كل ما أوردته مقدمة لما أنا بصدد من علم البيان مع ان صاحب الذهن السليم يمكنه ان يصل الى تفصيل ما أذكره وتحقيقه اذا تصور ما ذكرته

ونظير القضية في اصطلاح أهل النحو - الجملة - والفرق بين اصطلاح أهل النحو وأهل المنطق ان أهل المنطق يتكلمون على المعاني مستنبعة للألفاظ وأهل النحو يتكلمون على الألفاظ مستنبعة للمعاني والجملة أهم من القضية لان الجملة منها ما يحتمل الصدق والكذب ومنها ما لا يحتمله وهي اجمل الطائفة والانشائية والقضية لا تخرج عما يحتمل الصدق والكذب والذي يحتمل الصدق والكذب انما هو اللفظ الدال عليها . . والمفردات التي منها أجزاء القضايا وتركبها نفسها أهل المنطق الى اسم وكلمة وأداة

• والمفردات التي منها تتركب الجمل يقسمها أهل النحو الى اسم وفعل وحرف - والاسم - في اصطلاح أهل النحو أعم من الاسم في اصطلاح أهل المنطق اذ ينطلق على المتكلمين وغير المتكلمين في اصطلاح أهل المنطق من قسم الأداة ولذلك تكون الأداة أعم من الحرف والفعل أعم من الكلمة اذ يقع على ما لا يتصرف - كلبس - التي هي من قسم الأداة •• واذ قد ذكرنا ما أردناه من المنطق فلنتشرع في عدد الحروف وما أشبهها من الأسماء والأفعال وتضمن معناها

فمن الحروف إن • وأن • وكان • ولكن • وليت • ولعل • وكلها تدخل على ماصورة مبتدأ وخبر فتصب المبتدأ وترفع الخبر ومعناها بعد إن وأن ولكن معنى المبتدأ والخبر وهما بعد كأن مشبه ومشبه به وبعد ليت متغنى له ومتغنى وبعد لعل مترجى له ومترجى وبشبه أن يكون الرجاء متعلقاً بالاشئين تعلقاً واحداً وهما أقرب شيئاً بالمبتدأ والخبر منهما بعد ليت •• ومعنى - إن - التحقيق وتوكيد الخبر المفهوم من اسمها وخبرها •• ومعنى - أن - كمنها من التحقيق والتوكيد والفرق بينهما أن أن واسمها وخبرها في تأويل مصدر وليست إن كذلك وهي بعد لو أيضاً في تأويل المصدر مقدر قبله وجد وهو مفعوله القائم مقام الفاعل ومثاله - لو أن زيداً يحبك لأحببتك - المعنى لو وجد حب زيد لك فلم تخرج عن القاعدة وهي بعد لولا في تأويل مصدر هو الاسم المبتدأ بعد لولا المحذوف خبره لا علم به والمفوظ به خبراً عن اسم أن وحيث يخبر عن الاسم المبتدأ بعد لولا يكون المبتدأ وخبره في معنى أن واسمها وخبرها والمجموع المبتدأ المحذوف خبره وهذا البحث مما وقع لي ولم أنقله عن أحد فمن رأى فيه خلافاً فليصلحه ان أمكنه أو وجد عليه إيراداً فليذكره •• ومعنى - كان - التشبيه فاسمها مشبه وخبرها مشبه به فاسمها وخبرها يشبهان المبتدأ والخبر في الصورة فقط لا في المعنى •• ومعنى - لكن - الاستدراك فلا تقع الا بعد جملة أخرى نحو قولك ما قام زيد لكن عمراً قائم •• ومعنى - ليت - التمني وخبرها التمني واسمها التمني له •• ومعنى - لعل - الترجي والفرق بين التمني والترجي ان التمني يكون معشوقاً لنفس والمرجوفه لا يكون كذلك ويكون المرجو متوقفاً وانتفى قد لا يكون كذلك فالترجي أعم من

المتنى من وجه والتمنى أعم من الترجى من وجه والمرجو فى لعل حصول خبرها لاسمها وقد يكون حصول اسمها لخبرها وقد يكون حصول الجملة من اسمها وخبرها . . ونجى لعل للاشفاق والتعليل والاستفهام مع بقاء معنى الترجى . . وتدخل ما الزائدة على هذه الجروف فتكفيها عن العمل إلا لبت وفى كنفها لبت وجهان وقد جواز بعضهم إبقاء العمل مع ماقى غير لبت قياساً عليها ونفيد فى إن وأن معنى الحصر وفى باقى أخواتها معنى التوكيد وقد ينتصب المتنى والمتنى له لبت لشدة شبهها بالأفعال ويقاس عليها أخواتها على رأى

ومنها حرف الشرط وهو إن وما ينتظم فى سلكه نحو لما وهى عند سيويه حرف وجوب لوجوب . . وقال المتأخرون أنها ظرف لتوهمهم دلالتها على الزمان وليس بشئ إذ الزمان مستلزم للفعل الذى اقترنت به ولا دلالة لها عليه لالفاظاً ولا معنى إنما هى حرف وجوب لوجوب تقول لما قام زيد قام عمرو - دلت على وجوب قيام عمرو لوجوب قيام زيد والزمان دل عليه قام زيد فلا حاجة اليها فى الدلالة عليه ولا فى لفظها ما يدل على شئ من ذلك فما الذى دلنا على أنها دلت على الزمان وأن يكون الشرط بعدها والجواب مستقبلين وإن كان لفظهما ماضياً . . ومن المنتظم فى سلك حرف الشرط لولا . . ولولا . . اذ تقتضى كل واحدة منهما حملتين تمتنع احدهما لامتناع الأخرى بعد او وتمتنع احدهما لوجود الأخرى بعد لولا فكل واحدة منهما شرطية تستلزم احدى الجملتين اللتين تابيان كل واحدة منهما امتناع الجملة الأخرى كما استلزمت الجملة التى بعد إن وجود الجملة الثانية والجملة التى تلى لولا اسمية يجب حذف الخبر منها ان كان معلوماً وهو الأكثر وقوعاً ويجب أن لا يحذف ان كان مجهولاً ولذلك أنكره كثير ممن قصر به الفهم ومنه قول القائله تشدد وسمعها عمر رضى الله عنه وزوجها غائب عنها فى الجهاد

فوالله لولا الله تخشى عواقبه لزغزع من هذا الشرير جوائبه

مخافة ربى والحياه يصدنى وأكرم بعملى أن تبال مرا كبة

لما كان امتناعها للخشية الله لا لوجوده وجب ذكر المخشية ولو حذف لم يفهم الامتناع

لأنه وجود جرباً على ما كثر في الباب والدليل عليه عظمها على الخشية غيرها من الموانع في قولها - مخافة ربى والحياة بصدنى وأكرم بعلى - ومن أين كانت تعرف الخشية والحياة والاكرام التى هى موانعها لو حذف الخبر . . وقد جاء التلغظ بالخبر فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله لعائشة رضى الله عنها لولا قومك حديثو عهدٍ بالاسلام وجاء فى معنى إن الشرطية أسماء وهى من . وما . ومهما . وأى . وأين . ومتى . وحيثما . وإذا . وأننى . وكل واحد من هذه الأسماء يستدعى جنتين الأولى منهما فعلية فعلها إما ماض وأما مضارع وتكون الجملة الثانية فعالية كالأولى موافقة لها فى الفعل ومخالفة . . فان كان الفعل فى الأولى مضارعاً وفى الثانية مثله وجب جزمهما وإن كان الثانى مضارعاً دون الأول جاز فيه الجزم والرفع على الاستثناء وإن اقترن بقدر أو السين أو سوف أو لام التوكيد وجب أن يبدأ بالفاء ورفع مع قد والسين وسوف وبناءً على الفتح لوجوب اتصاله بنون التوكيد لاقترانه باللام ومهما اقترن الفعل فى جواب الشرط بحرف لا يجوز أن يقترن به فى الشرط وجب معه الفاء ولم ينجزم لكونه جواب الشرط وإن اقترن بأن ولم ولما كان مجزوماً بها ولم تلزم معها الفاء وقد يكون الجواب جملة اسمية وتلزم معها الفاء أيضاً . . ومما فيه معنى الشرط من الأسماء - إذا - وهى ظرف لما يستقبل من الزمان ولا يجزم بها إلا فى الضرورة . . ومنه - كل - مقترنة بما وهى مثل إن فى كونها تستدعى جنتين يستلزم وجود أحدهما الأخرى فى المستقبل إلا أن كل ما تقتضى التكرار وإن تقتضى مرة واحدة تقول كل قام زيد قام عمرو فعناء أن قيام زيد فى كل مرة بوجد وإذا قلت إن قام زيد قام عمرو استلزم فى المرة الأولى ولم يستلزم فى مرة ثانية وكلما لا تجزم إذ لا يقع بعدها الفعل المضارع وأسماء الشرط فى التكرار ككلما وفى العمل كإن . . ويلتحق بان فى الجزم - لم ولما - وهما يراد أن المضارع فى معنى الماضى وهما ببقيان ماضى إلا أن لما تستلزم التنى بها إلى حين الاخبار ولا يلزم ذلك فى لم . . ومنها - لام الأمر . - ولا فى النهى - ولا م الأمر مكسورة وتسكن مع الواو والفاء وتم وتدخل الفاء فى خبر الذى وما فى معناها لابهامه

ومن الحروف النواصب للفعل . . . وهي - ان - وهي والذي تنصبه في تأويل مصدر محكوم عليه بوجوه الاعراب وتنصب الفعل ظاهرة ومضمرة وقيل انها زائدة بعد لما نحو قولك لما ان جاء زيد أكرمه ولا يلزم ان يكون ههنا زائدة لاحتمال ان يكون المعنى لما وجد مجيئه أكرمه فتكون وجد مضمرة وأن على أصلها - ولن - وهي تنصب الفعل المستقبل نافية له وقبل تنفيه على التأيد - وكى - ومعناها التعليل وقيل تنصب بنفسها وقيل الناصب ان مضمرة بعدها ودليل كونها ناصبة كأن دخول لام الجر عليها في قوله تعالى لكيلا ودليل كونها حرف جر بمعنى اللام قولهم كعبه بمعنى نه ويقوى ذلك حذف ألف ما الاستفهامية - واذا - في الجواب ومعناها التفرير والتعليل ويرتفع الفعل بعدها ان لم تكن مصدرة نحو قولك في جواب من قال - أزورك أنا إذا أكرمتك ومن الحروف حروف الاستفهام . . . وهي الهمزة . . . وهل . . . وأم . . . واذا أنت بعد الهمزة للتسوية أو التي بمعنى أيهما كانت عاطفة وتسمى متصلة وإذا لم تأت بعد الهمزة للتسوية تسمى منقطعة وتدل مع الاستفهام على الاضراب . . . وقيل ان هل في قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا بمعنى قد . . . وقد يجمع بين الهمزة وهل في الاستفهام فيقال أهل قام زيد ومعناه تنبيه المستفهم . . . وقد يضمن معنى الاستفهام أسماء وهي - من - وما - وتخص من من يعقل وتطلق على ما لا يعقل بسبب مخالطة من يعقل - وأى - ولا تستعمل الا مضافة أو مقترنة بما عوضا عن المضاف اليه كقوله تعالى أيا مائدعو اولئك أعربت دون اخواتها ومعناها طلب تعيين بعض ما أضيفت اليه من الثنين أو أكثر - وكيف - وهي سؤال عن الحال ولا تقع الا خبراً أو حالا أو مفعولاً ثانياً في باب علمت واخواتها - وأين - استفهام عن المكان وهي من ظروفه - ومتى - استفهام عن الزمان وهي من ظروفه - وأنى - ونجى بمعنى كيف تارة وبمعنى أين أخرى - وكم - ويستفهم بها عن العدد ويخبر بها عن كثرته فتخرج عن هذا الباب . . . وللأستفهام صدر الكلام فيقدم وان كانت رتبته التأخير فيما ليس باستفهام

ومن الحروف حروف التحضيض . . . وهي هلاً . . . وألاً . . . ونولاً . . . ولوما . . . وحقيقة معناها اللوم على الترك . . . وقريب من معنى حروف التحضيض - ألا - لامرض نحو الا تنزل

ففضيفك وتقع الا لاستفتاح الكلام . . ويشبه حرف التحضيض أيضاً - كلا - للزجر والردع
اذمعناها قريب من معنى اللوم

ومن الحروف حروف الایجاب . . وهي نعم . . وجیر . بمعناها وان بمعناها ومعنى - نعم -
انها توجب المسؤول عنه نقياً كان أو انبائاً وفي ان مبالغة ما - أجل - ولا تستعمل في
جواب الاستفهام - وإي - ولا تستعمل الا مع القسم وتجي - جبر - بمعنى حقاً نقول جبر
لا فعلن والاشبه أن تكون ههنا ايها - اي - ولا تستعمل الا في جواب النفي فترفعه
ونثبت وغيرها من حروف الایجاب يقر النفي على حاله

ومن الحروف حروف النداء . . وهي يا أم الباب . وأباً . وهيا . للبعيد . وأى . والهزة .
للقريب وقد يحدف حرف النداء مع العلم لدلالته عليه - ووا - ولا تستعمل الا في الندبة
ويجي في آخر المدحوب ألف غالباً وكثر بعدها هاء السكت ولا يجب أيضاً وتستعمل
مع يالام الاستغاثة مفتوحة لاستغاث به ومكسورة للمستغاث له

ومن الحروف حروف التنبيه . . وهي ها . والاء . وأما . وتحدف الالف من أما
فيقال أم والله وتستعمل ها كثيراً مع أسماء الاشارة ولزوماً مع أي في النداء

ومن الحروف حروف النفي . . وهي لا . وما . وإن . وتقع الثلاثة زوائد ومنها أيضاً
لم . ولما . ولن . وقد مضى ذكرها . . ومن أدوات النفي - ليس - أخت كان وهي عند أهل
النحو فعل ولا يتقدم خبرها عليها على أحد القولين لضعفها عن اخواتها لعدم التصرف
وتضمن معنى الحرف وتحمل - ما - عليها في رفع الاسم ونصب الخبر في لغة أهل الحجاز
ولا تعمل في لغة نيم وهي أعم من ليس في النفي لانها تنفي الماضي ولا تنفيه ليس
وتقتصر عن ليس في العمل فلا يتقدم خبرها على اسمها ويبطل عماها الا الناقضة لنفسها
واقترانها بان في معناها وتحمل - لا - على ما فيها حلت فيه على ليس وذلك قليل وقاما تسمع
الا وخبرها محذوف قال الشاعر

مَنْ صَدَّ عَنْ يَرَانِهَا فَأَنَا ابْنُ قَيْسٍ لَا بَرَّاحٍ

وتحمل أيضاً على إن فتصحب المضاف والشبه بالمضاف وهو العامل فيما بعده نحو لا غلام
رجل عندنا ولا خيراً من زيد ولا ضارباً أحداً وتبنى النكرة المستغرقة للجنس بعدها

على الفتح ويكون موضعها نصباً وتهمل اذا دخلت على المختص ويجب تكرارها ليكون فيها عموم ما اذا الأصل في معناها محرم النفي وهي والمبنى معها على الفتح في معنى اسم واحد هو نفيها كائناً ليس معها وهو الذي يسميه أهل المنطق المعدول وذلك نحو قولك رجل ولا رجل وتزاد لجر وتؤكد النفي نحو قوله تعالى ولا الضالين - وإن - سني وأكثر مائتي وبعدّها الا الناقضة للنفي وتقرن بما النافية بعدها زائدة على رأي وفي حكم تكرير ما على رأي ويرجع زيادتها عنها بعد ما الظرفية نحو قولهم - ما إن جلس القاضي - أي مدة جلوسه

ومن الحروف حروف الاستثناء . . وهي إلا أم الباء . وحاشي . وخلا . وعداء . اذا جربها فان نصبت كانت أفعالا وتكون أيضاً من أدوات الاستثناء وقولنا نحى خلا وعداء الاناصيين ولا نحى حاشي الاجارة الا في الشذوذ . . ومن أدوات الاستثناء - لا يكون . وليس - باقيتين على أصلهما من الفعلية والعمل . . وعدوان أدوات الاستثناء - لا سيما - وليست مخرجة الا الى مبالغة في الحكم وتقع غير موقع الا وتكون اعراضها اعراض الاسم الواقع بعد إلا نصبا على أصل الاستثناء وبدلاً من المستثنى ومعمولة لما يطالبها عند عدم المستثنى منه ونحى - الا بمعنى غير صفة فيمرّب ما بعدها باعراض غير وذلك نحو قوله تعالى لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا

ومن الحروف حروف الجر . . منها - من - لا ابتداء الغاية - والى - لانتهائها وتكون من للتبويض ولييان الجنس كقوله تعالى خلق الانسان من صلتك كالنخار وخلق الجن من مارج من نار . . وتكون زائدة بعد النفي والاستفهام ولا تزداد في الانجذاب عند سبويه وتزاد عند الاخفش واستعمل عليه بقوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم ولا يصح الاستدلال بهذا لاحتمال كون من للتبويض فيكون المعنى يغفر لكم شيئاً من ذنوبكم وبحقل أن يكون لبيان الجنس لان الغفر ستر والستر يكون للذنوب وغير الذنوب مثال زيادتها بعد النفي قوله تعالى وإن من شيء الا يسبح بحمده وبعد الاستفهام في قوله تعالى قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا وتكون للبدل في مثل قوله تعالى أرسيتم بالحياة الدنيا من الآخرة وقول المناس

فإن تبدلت من قومي عدوكم إني إذا لضعيف العقل مألوس
وتفترن بأفعل التفضيل موصلة حكمه الى المفضل عليه فهي للتعدية فقط وتكون - الى - بمعنى
مع نحو قوله تعالى ولأننا نكلوا أموالهم الى أموالكم ولا بد فيها من الدلالة على انتهاء
الغاية . . . ومنها - في - وهي للظرفية حياً ومعنى حساً نحو كنت في البيت ومعنى نحو نظمت
شعراً في المدح ومنه قوله تعالى في جذوع النخل . . . ومنها - اللام - ومعناها الاضافة وتكون
الاضافة للاختصاص فقط نحو أين زيد ولعلك نحو ثوبه وللعضية نحو يده وتكون اللام
للتعليل بمعنى كي وللجحد نحو قوله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وتكون لانتهاء
الغاية نحو قوله تعالى اتي وجهك وجهي للذي فطر السموات والأرض وتكون لجرد التعدية
نحو قلت له وقيل انها زائدة في قوله تعالى ردف لكم ولا يلزم ذلك فيقال ان ردف
مثل شكر ونصح فينبغي نارة بنفسه ونارة باللام ولا تنفك حيث وقعت عن ملح الاضافة
. . . ومنها - اليا - ومعناها الاضافة ويكون فيها معنى الاستمارة نحو استعنت بزيد وكنت بالقلم
ومعنى المصاحبة نحو اشترت الفرس بسرجه ولجامه ومعنى الالتصاق لا يفارقها كعني
الاضافة مع اللام وقالوا نفع زائدة وأظهر ما هي زائدتها في قوله تعالى وكفى بالله شهيداً
ويحتمل معناها كفي الأمر بالله في حال كونه شهيداً فتكون للاستمارة وحيث وقعت فلا قطع
بزائدتها اذ يمكن تحريكها على معنى من معانيها . . . ومنها - حتى - ومعناها انتهاء الغاية الا أن
الجرور بها غالباً يكون بعض المعيا وإن لم يكن فلا بد أن يكون ملاقياً لآخر المعيا نحو
جاء الحجاج حتى المشاة أو حتى باب المدينة ولا يلزم ذلك في الى والغاية والبدية قد
تكونان داخليتين في المعيا نحو قرأت الكتاب من أوله الى آخره وقد تكونان خارجيتين
عنه نحو امتلاً الجامع من الحائط الى الحائط وقد تكون احدهما داخلية والاخرى
خارجية كما لو قال ملك الدار من حائط الى حائط زيد ومن حائط زيد الى حائط
وقد تكون حتى عاطفة نحو أكلت السمكة حتى رأسها وابتدائية نحو قول الشاعر

وما زالت التتلى نخب دماءها بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

فانفكت عن أن تكون جارة ولا تنفك عن أن تكون لانتهاء الغاية وتصح معانيها الثلاثة
في السمكة تقول أكلت السمكة حتى رأسها وحتى رأسها ولا يجوز أن

تقول أكلت السمكة حتى نصفها ولا حتى ثلثها للجهالة لا لكون النصف لا يجوز أن يكون غاية اذ لو حدد النصف كما ان الرأس يحدد لجاز .. ومنها - رب - وهي تجر النكرة موصوفة بجملة وتكون للتعليل كثيراً وللتكثير قليلاً وليس لها فعل تتعلق به الا ما في صفة معمولها وقد يقال انه يلزم من ذلك الدور لانها متقدمة على المجرور بها والمجرور بها متقدم على صفة والصفة عاملة فيهما فتكون متقدمة عليهما فتكون متقدمة على نفسها وذلك هو الدور الذي يلزم منه المحال فيقال في جواب ذلك انك لو قلت رب رجل ولم تذكر الصفة لم يقد شيئاً فلا علة بينهما حتى تذكر الصفة فالصفة متقدمة على العلة بينهما ومن جهة العلة عمل فيهما معنى الصفة فلم يعمل شئ منها الا فيما تأخر عنه وقد يكون المجرور بها ضميراً مفسراً بنكرة ولا يعود الى شئ فهو تكرة نحو قولهم رب رجلاً رأيت وتكف بما زائدة فتبطل عملها وتدخل حينئذ على الاسم والفعل ولا تختص بواحد منهما ولا تكون الجملة الموصوف بها الافعية ولا يكون فعلها الا ماضياً وتضم بعد الواو وقيل انه لم يسمع الا في الشعر فقبل انه من الضرورات الا انه كثير في الشعر جدا وليس في الضرورات ما كثر كثرة نعد بالنسبة الى كثرته وما أظن العرب كانت تحترز منه في السعة لكنه ما اتفق ان يتقل وقد جاء اضمارها بعد الفاء وبل قليلاً ومنه قول امرئ القيس

* فَنَلِكِ حَبْلِي قَدْ طَرَقْتُ وَمُرَضِعِ *

واضمراها بعد الواو في قصيدته هذه في قوله

* وَيَبِيضُهُ خَيْدَرٌ لَا بُرَامُ خَبَاؤُهَا *

.. وفي قوله

* وَلَيْلِ كَوَجِ الْبَحْرِ مُرَخِّ سِدْوَلَةٍ *

واضمراها بعد بل كقول الشاعر

* بَلْ بَلَدٌ مَلُّ الْفِجَاجِ كَتَمَهُ *

ومنها حروف القسم .. وأمهال الواو - وقال جمهور النحاة انها مبدلة عن الباء الرابطة بين أقسمت والاسم المعظم - والباء - تعمل في الظاهر والمضمر والواو لا تعمل الا في

الظاهر ولذلك قيل انها مبدلة منها وعدت الباء من حروف القسم والقسم مع الباء مفهوم من أقسمت والباء هي الرابطة والكثير اظهار فعل القسم مع الباء وهو محذوف في حكم الظاهر فليست الباء بدلا عنه كالواو وقالوا ان - الله - مبدلة عن الواو ولا تدخل الاعلى الاسم المعظم الذي هو الله وروى الأخفش دخوله على رب الكعبة وتدخل كالتاء على الاسم المعظم ممدودة ومتصورة الهمنة -ها- والميم مضمومة ومكسورة ويجوز حذف حرف القسم مع الاسم المعظم * * ومن حروف القسم - من - مضمومة الميم ومكسورة ورثها ولم يسمع الا في قولهم من ربي انك لا تسرو قبل ان من ومن والميم مأخوذة من أيمن وأيمن اسم هو المقسم به * * ومنه - أيمن الله - وتكسر همزته أيضا وعمر الله كأين الله وتدخل عليهما لام التوكيد فيقال ليعن الله ولعمر الله ويضاف عمر الى غير الله مضمرا وظاهرا فيقال لعمرى ولعمرى وأمر أليك نحو قول الشاعر

وكل أخ مفارقة أخوه اعتر أليك الا الفرقدان

ومنها - كاف التشبيه * وعن لمجاوزة * وعلى للاستعلاء * حسا كملى الفرس وحكما كعليه دين واستوى بشر على العراف وتكون اسما في مثل قولهم تفر عن كالبردو من عن يمين الحبيبة وغدت من عليه ويجوز أن يقال هي حروف على أصلها ومعنى قوله تفر عن كالبردو عن أستان كالبردو من عن يمين الحبيبة من جهة عن يمين الحبيبة وغدت من عليه من طريق عليه * * ومنها - منذ - ومنذ - ومضاهما ابتداء الغاية في الزمان فان كان الأمر منفيًا في ذلك الزمان نحو منذ يومين ومنذ يوم الجمعة كان اللقاء منفيًا الى حين الخبر والأصل في الاثبات أن يكون بمعنى الثني في ذلك فاذا قال لقينه منذ يومين ومنذ يوم الجمعة كان اللقاء في ابتداء الوقت المذكور والظاهر استفاؤه الى حين الاخبار ومحتمل اللقاء بعد ذلك ولكن يحتاج الى قرينة لظهور ضده عليه وفي الثني يكون استمرار الثني واجبا وجود اللقاء في أول المدة ومحتمل عدمه ولا يعلم الا بالقرينة وظهور ضده عليه أيضا فاذا المفهوم من غير قرينة في الاثبات والثني واحد ويجوز ما ذكر إمدها من الزمان فتكونان حرفي جر ويرفع فتكونان اسمين معناهما مدة ذلك ويكون موضعهما رفعاً على الابتداء والغالب على منذ أن تكون حرفاً وعلى منذ أن تكون اسما * * ومنها - حاشى * وخلا * وعدا - وقد

تقدم ذكرها في الاستثناء وقد جاءت كي جارة في قولهم كعبه كاللام في قولهم له اذ
معناها في التعليل واحد .. ومنها مع - سا كنة العين وفتوحها والأظهر انها اسم
في المية شبه بظرفي الزمان والمكان والاسمية في المفتوحة العين أظهر منها في
سا كنها ولولا - اذا دخلت على ضمير الجر نحو لولاي ولولاك ولولا حرف جر عند
سبويه وعند بعضهم هي على أصلها وقد أوقع الضمير المجرور موقع المرفوع
ومن الحروف حروف النسق .. وأما الواو ومنها الجمع بين المعطوف والمعطوف
عليه مطلقاً محققاً للتقديم والتأخير والمية وتعطف المفرد على المفرد والجملة على الجملة
متفقتين ومختلفتين تقول قام زيد وعمرو وقام زيد وقعد زيد وزيد فاعل الفعلين على رأي
الغراء ولا يتصور عطف الفعل على الفعل لالكونهما جزئي جاتين الا على هذا الرأي
ولو قلت قام زيد وقعد فالتقصود أيضاً عطف الفعل على الفعل لكن لما أخرق قد وجب أن
يضمربها الفاعل وتحول قام زيد وقعد عمرو وبكر منطلق ويذهب خالد ويمعطف في
أنواع الطلب كمعطفها في الخبر .. ومنها الفاء .. وثم - وهما في الجمع كالواو ويختصان
بالترتيب وهو أن المعطوف بهما بعد المعطوف عليه ويختص الفاء منهما بالتعقيب
والغالب في استعمال ثم المهمله فتى وردت مطابقة حملت على المية الا ان يدل الدليل
على عدمها وقد يدل الفاء على التسبب كقوله تعالى واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا
مترفينها ففسقوا فيها فحق عليها القول وتأتي في جواب الشرط اذا كان مما لا يحسن
دخول ان الشرطية عليه رابطة بين الشرط وجوابه ونفع في خبر المبتدأ اليهم لشبه
الابهام بالشرط وتعطف الجملة على الجملة استثناءً لثانية نحو قوله تعالى ولقد أهلكنا
أشياءكم فهل من مدرك .. ومنها أم - بعد الاسماء ومنقطعة وقدمت ذكرها .. ومنها
بل - ومعناها الاضراب وتأتي بعد التثنية والاثبات مثلاً ما بعدها عاطفة للمفرد على المفرد
والجملة على الجملة تقول ما قام زيد بل عمرو وقام بل قعد زيد وما قام زيد بل قعد
عمرو ويكون ما قبلها متروكاً لفساده أو للاعراض عنه مع صحته .. ومنها لا - النافية نحو
قام زيد لا عمرو فيكون ما قبلها مثبتاً وما بعدها منفياً .. ومنها أو - وتكون في الخبر للترديد
فيكون أحد الأمرين ثابتاً والآخر غير ثابت وتكون لبيان النوع فيكونان ثابتين نحو

الصالح الحسن أو ابن سيرين وهي في الطائفة غير الأمر والنهي كذلك وتكون في الأمر والنهي للتخيير والاباحة نحو صم أو أفطر وجالس الحسن أو ابن سيرين وفي النهي لا تقم أو لا تقعد وفي الاباحة لا تؤذ اليهود أو الصاري .. ومنها - حتى - وقد مضى ذكرها في حروف الجر .. ومنها - لكن - ومعناها الاستدراك ويكون غالباً المعطوف والمعطوف عليه أحدهما موجباً والآخر منفيّاً وقد يكونان ثابتين كقول الطيب تغذ بماء الشعير لكن صرّفه بالسكتنجين .. ومنها - أمام - نحو قولك قام إما زيد وإما عمرو وإما زيد قائم وإما عمرو منطلق لأن معنى الواو الجمع والمعطوف والمعطوف عليه متردد فيهما أو مخبر أو مباح نوعهما كاللغطوف عليه والمعطوف بأو وذلك المفهوم من إما والحق أن العطف للواو وإما لتفصيلها أفادت هذه المعاني وانتفى جمع الواو كاستفاه إطلاقها في نحو قولهم صام زيد وأفطر لاستحالة الجمع بين الصوم والفطر

ومن الحروف الحروف التي تزداد وتسمى حروف الزيادة .. وهي - من - والباء .. وإن - وأن - وقد مدى ذكر كل واحدة في موضعها وما .. ولا - وتزداد أن كثيراً فترادف - بين المضاف والمضاف إليه كقولك غضبت من غير ما جرم وبين الجار والمجرور في مثل قوله تعالى فيها رحمة من الله لنت لهم وتزداد مع إن وأخواتها وتزداد بعد أين ومتى وأذ وحيث وتزداد للتقليل في قولهم لأمر ما جدد قصير أنفه وغير ذلك .. ولا - وتزداد مؤكدة لنفي رافعة للباس نحو ما قام زيد ولا عمرو وفي غير ذلك كثيراً

ومن الحروف حرفا التفسير .. وهما - أي - وأن - فتأني يفسر بها معنى الكلمة المفردة أو معنى الكلام المركب كقولك في قول امرئ القيس

نظمهم سلكي ومخلوجة كفتك الأمين على نابل^(١)

(١) هكذا جاء البيت في أصل الكتاب .. قال كفتك الأمين ثم فسر بقوله أي مثل فعل الذي يجمع النبل الدرمة وفي لسان العرب في مادة س لك .. والسلك ادخال شيء نساكه فيه كما نطعن الطاعن فتسلك الرمح فيه إذا طعنته تلقاء وجهه على سحيجه وأشد قول امرئ القيس

- سلكى - أى مستقيمة ما بين الصدر والظهر - ومخلوجة - أى من جنب الى جنب وقوله - كفتك الأمين على نابل - أى مثل فعل الذى يجمع النبل المرمية ثم يفرقه عليهم فيأخذ باحدى يديه نبلين أو ثلاثاً وبالأخرى باقى النبال معترضة عليها ليعرف كل أحد نباله فيأخذها فتكون صورة الرماح فيهم كهورة النبال فى يديه - وأن - ولاتأتى الا بعد القول مفهوماً لا ملفوظاً به أو ما فى معناه كقولك أمرته ان أقعد قال الله تعالى وناديتاه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وقال تعالى وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتم ان هذا لشيء يراد أى انطلقوا قائمين امشوا

نظنهم سلكى ومخلوجة كرك لا أمين على نابل وروى كرك كلاً من قال وصفه بسرعة الطعن وشبهه بمن يدفع الريشة الى النبال فى السرعة وانما يحتاج اليه فى السرعة والخفة لان القراء اذا برد لم يلزق فيستعمل حراً والسلكى الطعنة المستقيمة تلقاء وجهه والمخلوجة التى فى جانب امه وقال فى مادة خ ل ج ابن السكيت يقال فى الأمثال الرأى مخلوجة ولبتت بسلكى قال قوله مخلوجة أى تعرف مرة كذا ومرة كذا حتى يصح صوابه قال والسلكى المستقيمة وأنشد قول امرئ القيس

نظنهم سلكى ومخلوجة كرك لا أمين على نابل فضبطها هناك براء مشددة ثم كاف خفيفة مفتوحة وضبطها هنا براء خفيفة وكاف مثقلة مكسورة ثم قال فى تفسيره يقول يذهب الطعن فيهم ويرجع كما ترد سهمين على رام رمى بهما .. ورواه الوزير أبو بكر عاصم بن أيوب فى شرح ديوان امرئ القيس

* كرك لا أمين على نابل * وقال فى شرحه ما نصه قوله سلكى أى طعناً مستوياً وقيل السلكى على القصر امام وجهك والمخلوجة المعوجة عن يمين وشمال وقيل عن ناحية اليمين وناحية الشمال وقوله كرك لا أمين أى ردك لا أمين وهما السهمان على من يرمى يقال اذا ألقيتهما لم يقعا مستويين وربما استوى أحدهما وتعوج الآخر ويقال سهم لأم اذا كان عليه ريشه قال الوزير أبو بكر وحدث الاصمعى عن أبى عمرو قال كنت أسأل منذ ثلاثين سنة عن هذا البيت فلم أجد أحداً يعلمه حتى رأيت اعرابياً بالبادية فسألته عنه ففسر لى وقال المعجاج

ومن الحروف - قد - وهو حرف اذا اقترن بالفعل الماضي دل على قرب من الحال بحسب حال الفعل فان قولك قد اكلت يدل بمفهومه على ان اكلتك في يومك ان بعد وفي ساعتك ان قرب وقولك قد حججت يدل بمفهومه على ان حججت في ماضى عمرك ان بعد وفي عامك ان قرب واذا اقترنت بالفعل المضارع دلت على التقليل كقول الشاعر
وحى ذوى الاضغان نَسبُ عَقُولِهِمْ مودَّةُكَ الْقُرْبَى وقد يَرْقَعُ النَّفْلُ (١)

وربما جاءت للتكثير كقول الشاعر

قد أشهد الغارة الشعواء نَحْمَانِي جرداه معروقة اللحيين سُرحوبُ
فانه يمدح نفسه بذلك والمدح انما يكون بالكثير لا بالقليل وقد تكون لتوقع القليل كقول الشاعر

وقد يجتمع الله الشننين بعد ما بَطْنَانِ كُلِّ الظَّنِّ - أن لا تلاقيا

ومن الحروف - السين - وسوف - ومعناها تخصيص الفعل المضارع بالاستقبال وتكون السين اقرب الى زمن الحال من سوف ومن سوف أخذ التسويف في الوعد ومعناها المنطل مع الاطماع

ومن الحروف - التاء - الساكنة المنصبة بالفعل الماضي دالة على تأنيث الفاعل اذ الفعل لا يوصف بتذكير ولا تأنيث وأغنى عنها في المضارع والأمر تاء المضارعة وباء ضمير

حدثني عمي وكانت من بنى دارم قالت سألت امرأ القيس وهو يشرب مع علقمة بن عبدة مامعنى قولك كرك لامين قال مررت بنا بل وصاحبه يناوله الرسن نوأماً وظهاراً فما رأيت أسرع منه فشبهته به .. وقال الفتيبي انما هو كركلا ممين أى تكرير كلام بمعنى قول القائل للرامي ارم ارم أى ليس بين الطمن والطمن الا بمقدار ارم ارم والنابل صاحب النبل .. وقال زيد بن كندة يريد انه يطمن طمئتين مختلفتين ويوالى بينهما كما يوالى هذا القائل بين هاتين الكلمتين اه وبهذا تعلم ان ما فى الاصل محرف لا يستقيم اه كتبه محمد بدر الدين

(١) نفل الادب بالكسر نفلاً فهو نفل فسد في الدباغ بقول عامل ذوى عداوتك بالحسنى كما تعامل ذوى قرابتك تستل سخائمهم من صدورهم فان الادب الفاسد قد يرفع فيصلح حتى ينفع به اه كتبه محمد بدر الدين

المؤنثة الواحدة ونون جماعة المؤنث

ومن الحروف اللام وتكون جارة وقد سبق ذكرها وتدخل على الفعل المضارع مضراً بعدها أن فتكون للتعايل . . ونحى بعدما كان مؤكده للنحى وتسمى لام الجحود وتكون مكسورة في هذه المواضع فرقا بينها وبين لام التوكيد وأصلها الفتح ولذلك فتحت مع الضمير حيث أمن اللبس . . ونحى اللام للتوكيد مفتوحة في جواب القسم وفي خبر إن ومقترنة بالابتداء وتسمى حينئذ لام الابتداء نحو قولك لزيد قائم وهي المقترنة بعمر وأمين . . ونحى اللام موطئة للقسم مقترنة بأن نالها لام جواب القسم المحذوف نحو قوله تعالى ان لم تنته لأرحمك واحجرتى ماياً وقد يؤتى معها بالقسم كقوله تعالى وأقسموا بالله جهنم أيمانهم ان جاءتهم آية ليؤمنن بها وهي بدل عن القسم ان لم يذكر معها وفي حكم تكراره ان ذكر وتكون اللام في جواب القسم مقترنة بالفعل المضارع المؤكد بالنون وبقد داخلية على الفعل الماضي غالباً وربما اقترنت بالفعل الماضي نفسه نحو قول امرئ القيس

حلفتُ لها بالله حجة فاجر لئاموا فما إن من حديث ولا صالى

ومن الحروف الحرفان المصدريان . . وهما ان . . وما . . وسما . . مصدرين لأن كل واحد منهما ما بعده من الفعل في تأويل مصدر وقدم في ذكر أن في نواصب الفعل ونحى . . ما في نحو قوله تعالى وضائق عليهم الأرض بما رحبت أى برحبتها قال الشاعر

يسر المرء ما ذهب الليالى وكان ذهابهن له ذهاباً

وقد جاء رفع الفعل بعد أن تشبهاً لها بما المصدرية أختها قال الشاعر

أن تقرأن على أسماء وينحكما منى السلام وأن لا تشمرا أحدا

وينقدح في هذا البيت أن يكون آتيان بالنون من ضرورة الشعر وليس لغة تشاعير لسكونه أتى بعدها في آخر البيت بفعل منصوب يحذف النون

ومن الحروف التثوين وهو على خمسة أنواع . أحدها تثوين الأمكنية التي هي بقاء الاسم على أصله وسلامته من شبه الحرف وموانع الصرف . والثاني الفاصل بين المعرفة والنكرة في نحو سمى وسمى وأبى وهذه الكلمات متونة لنكرة وغير متونة معرفة والأمر

بالمعرف منه أبلغ من الأمر بالشكر . والثالث^(١) العوض عن المضاف إليه في نحو يومئذ
وحينئذ وقوله تعالى قل كل يعمل على شاكلته . والرابع تنوين التزم في نحو
قول الشاعر

أقلّ الأيام عاذِلَ والعَتَابِ وقولي إن أصبتُ لَقَدْ أَصَابْتَ^(٢)

في القافية المطلقة وقيل فيه إشعار بترك التزم فإن التزم بعد الصوت ومد الصوت إنما
يكون في حروف المد واللين أو المتحركة إذا أشبعت حركاتها والتنوين حرف ساكن
ولا مد فيه ومن هذا القسم التنوين اللاحق بالقافية المفيدة ويسمى العالي وهو كقول رؤبة
* وقائم الأعماق خاوى المَحْتَرِقِ *^(٣)

(١) قوله والثالث العوض عن المضاف إليه الخ تنوين العوض قد يكون عوضاً عن
جملة وهو الذي يالحق اذ عوضاً عن جملة تكون بعدها كقوله تعالى وأنتم حينئذ تنظرون
أي حينئذ بلغت الروح الحلقوم فحذفت بلغت الروح الحلقوم وأتى بالتنوين عوضاً عنه
وقد يكون عوضاً عن اسم وهو اللاحق لكل عوضاً عما تضاف إليه نحو كل قائم أي كل
إنسان قائم فحذف إنسان وأتى بالتنوين عوضاً عنه وقد يكون عوضاً عن حرف وهو
اللاحق لجوار وغواش ونحوها رفعاً وجراً نحو هؤلاء جوار ومررت بجوار فحذفت
إلياء وأتى بالتنوين عوضاً عنها اه كنبه محمد بدر الدين

(٢) قوله - إن أصبت - روى بضم التاء وكسرهما ثم مخاطبة قائم على الأول اذا وافقت
الصواب في عملي فقولي قد أصاب ولا تنكري على ما يقع من صواب والمعنى على
الثاني ان أردت أن تكوني على الصواب فقولي قد أصاب في عملي والشاعر قد كان يفرق
ماله في وجوه الخير فلامته زوجته على ذلك مخاطبها بهذا في أبيات كثيرة اه كنبه
محمد بدر الدين

(٣) تمامه * مشتبه الاعلام بالاع الخققن * - قائم - مظلم - وأعمق - جمع عمق
بفتح العين وضمها وهو ما بعد من أطرف المفازة مستعار من عمق البئر - وخاوى - خالي
يقال خوى المكان اذا خلى من ساكنيه - والمحترق - الطريق لان السابلة تمخرقه

والخامس تنوين المقابلة وهو تنوين المؤنث بالألف والتاء لأن اعراب المؤنث بالألف والتاء محمول على اعراب جمع المذكر السالم فالحرركات هنا تابعة لتلك الحروف وليست الحركات^(١) التي تلك الحروف بدل عنها بل هي بدل عن بدل تلك الحركات والدليل عليه تنوين عرفات في قوله تعالى فاذا أفطتم من عرفات مع وجود موانع الصرف فلما كانت هذه الحركات في المؤنث بالألف والتاء في قبالة الحروف التي هي علامة الاعراب في جمع المذكر السالم لزم أن يكون التنوين في قبالة النون ولم يكن تنوين الصرف

ومن الحروف - نون - التوكيد الخفية والثنية ومعناها التوكيد وبني الفعل المضارع معهما على الفتح فان كان الفعل المضارع متصلاً بألف ضمير الاثنين أو واو ضمير جماعة الذكور أو ياء ضمير المؤنث ودخلت عليه نون التوكيد اختلف أن يكون باقياً على اعرابه وأن يكون مبنياً غير أنهم بنوا ما قبل واو جماعة الذكور على الضم دليلاً عليها وما قبل ضمير المؤنث على الكسر دليلاً عليها والمختار عند المحققين أنها معرفة لأن نون الاعراب تكون محذوفة كراهة اجتماع النونات

ومن الحروف - هاء - الكسرة وهي التي في قوله تعالى ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطاناه يوفاني بها لاعطاء ما قبلها حظه من الحركة واعطاء الوقف حظه من

والاعلام - جمع علم وهو الامارة لانها تكون علامة على الطريق - ولما الخفقن - أي يلع فيه السراب وينج لا تساعه ويتأعد أطرافه يقول انه قطع مثل هذه المفازة التي لا يقدم على قطعها الا من بالغ الغاية في قوة القلب وجراءة الجنان اه كتبه محمد بدر الدين

(١) قوله ولبت الحركات التي الخ هكذا جاءت العبارة في أصل الكتاب وفيها اضطراب لا ينبغي وفي كتب النحو تنوين المقابلة هو اللاحق لنحو مسلمات مما جمع بألف وتاء سمي بذلك لانه في مقابلة النون في جمع المذكر السالم في نحو مسلمين وليس بتنوين الامكنية خلافاً للرسم لثبوته فيما لا ينصرف منه وهو ما سمي به مؤنث كاذرات لقربة ولا تنوين تنكير لثبوته مع العربات ولا تنوين عوض وهو ظاهر وما قبل انه عوض عن الفجعة نصاً مردود بان الكسرة قد عوضت عنها اه كتبه محمد بدر الدين

الوقوف عليها ساكنة فان الحركات اذا ظهرت كانت المعاني معها أبين والاثبات بها بعد الألف في التدية لان الألف في التدية حركة مشبعة فرجها بيان الحركة أيضاً ومن الحروف حرف الانكار وهو هاء ساكنة يلحقها المنكر بما أنكر من كلمة أو أكثر ولا يخلو آخر ما أنكر من أن يكون متحركاً أو ساكناً فان كان متحركاً أشبعت حركته حتى تكون الفتحة ألفاً والكسرة ياء والضممة واواً نحو قولك لمن قال أكرمت أحمد أحدهم ومن قال صمت أمس أمسبه ومن قال أكرمتي عمر أعمره وان كان آخر ما أنكر حرفاً ساكناً فإما أن يقبل الحركة أو لا يقبلها للتعذر أو للاستتقال فان لم يقبل الحركة اشبعت ان وكسرت النون لالتقاء الساكنين وأشبعت الكسرة حتى تكون ياء فتقول لمن قال جاء موسى أجاه موسى اليه وان كان الساكن مما يقبل الحركة فلك أن تعامله معاملة نون ان ولك أن تزيد بعده ان كما سبق فتقول لمن قال هذا زيد ان شئت أزيدنيه وان شئت أزيدانيه والانكار قد يكون لحصول ذلك وقد يكون على تقدير عدم حصوله فيكون الاخبار والاستخبار عنه من باب تحصيل الحاصل ومثال الأول ان تقول لمن قال آمن أبو جهل أأبو جهل نيه ومثال الثاني أن تقول لمن قال أبو جهل عدو رسول الله أأبو جهل نيه ولك أن تصل ما أنكرت بكلام فنستغنى به عن حرف الانكار ولا نأني به فتقول لمن قال جاء زيد أزيد يا هذا ومن الحروف حروف التذكير وهو أن يتكلم المتكلم بكلمة فينسى ما يريد أن يصلها به فيتبع حركتها واواً ان كانت ضمة وياء ان كانت كسرة وألفاً ان كانت فتحة ويمد حتى يذكر ويتبع سكونها ياء ويكسر ما اتصلت به لالتقاء الساكنين ويمد فيقول ان وقف على قال ناسياً ما بعده قالاً وعلى يقول بقولو وعلى لم يف لم يفي وعلى قل قل مد وان كان الوقوف عليه حرف مد مددت فيه فقط فتقول ان وقفت على عيسى عيسى مد وعلى يدعو يدعو مد وعلى يقضي يقضي مد وقال سيدي سمعناهم يقولون انه قدى مد والى مد يعنى فى قد فعل وفى الألف واللام اذا تذكر الحارث ونحوه قال وسمعنا من يوتق به يقول هذا سيفنى يريد سيف من صفه كيت وكبت واختصت الياء بهذا هنا كما اختصت به فى القافية المطلقة دون الواو والألف

ومن الحروف حروف الخطاب وتندكر مع ما تم يذكر من الأسماء المشبهة للحروف
وهي المضمرات والمبهجمات لاختصاصها بها
ومن الحروف حرفة التعليل وهما لام الجر وكي وقد مضى ذكرهما ونقول لمن قال
قصدت فلانا له أو كعبه فيقول ليحسن إلى وكي يحسن إلى .. وأما قولهم حروف المضارعة
فليست حروف معان بل حروف مجاز تدل الألفاظ المبينة عاينها على المعاني المنسوبة
إليها فاستبهم المعاني إليها على سبيل المجاز فإن الهمزة وحدها مثلاً لا تدل على المتكلم
والنبي عاينها الفعل لا قيام له بنفسه لكن معها فالدلالة حينئذ للمجموع وهو الذي يقال
له الفعل المضارع

واذا قد آتينا على الحروف وما تضمن معناها من الأسماء فقد بقي من الأسماء ما يشبه
الحروف مطلقاً لا يتضمن معنى حروف بأعينها

ففيها المضمرات وهي كل اسم دل على المتكلم من حيث هو متكلم أو على المخاطب
من حيث هو مخاطب أو على الغائب من حيث هو غائب نحو أنا وأنت وهو وما في
معناها وهي ستة وأربعون ضميراً يلفظ بها وواحد بضمير ولا يلفظ به ويسمى مستكناً
وفائدة هذه المضمرات في الكلام الاختصار وتجنب التكرار تقول لقيت زيداً وسلمت
عليه أقيم مقام لقيت زيداً وسلمت على زيد فهو أخصر من الظاهر وهو مع ذلك سالم
من تكرار زيد هذا في ضمير الغائب وأما في ضمير المتكلم والمخاطب فإنه إذا أتى بالاسم
في موضع النبس المتكلم والمخاطب والغائب فلم يعرف من المقصود فإنه لو أقام مقام التاء
في لقيت اسمه وهو عمرو مثلاً فقال لقي عمرو زيداً لم يعرف كل واحد من عمرو وزيد
أهو متكلم أو مخاطب أو غائب ففي إقامة الضمير مقام الظاهر هذه القوائد الخمسة
.. وينقسم الضمير الملفوظ به إلى منفصل ومتصل والمتفصل أربعة وعشرون أثنا عشر
لا تقع إلا مرفوعة وأثنا عشر لا تقع إلا منصوبة فلما نكلم من المرفوعة اثنان وهي أنا
ونحن وللمخاطب خمسة وهي أنت وأنت وأنتما وأنتم وأنين وللغائب خمسة وهي هو
وهي وهما وهم وهن والمتكلم من المنصوبات اثنان أيي وإيانا وللمخاطب خمسة أيك
واياك وإياكما وإياكم وإياكن وللغائب خمسة أيه وإياها وإياهم وإياهن ولم يفسرق

الفصاحة والبلاغة والبيان ألفاظ تشترك في كثير من المعاني ويختص كل واحد منها بما ليس للآخر لكن الفصاحة أصلها الخلوص من الشوائب لقولهم أفصح الالين وفصح إذا خلاص من الالباء وذلك في الكلام لا يكاد ينفك عن أن يكون بيناً فالفصاحة أعم من البيان من وجه والبيان أعم من الفصاحة من وجه فإن البين قد لا يكون كلاماً والخالص من الشوائب قد لا يكون بيناً وكذلك البلاغة مع كل واحد من الفصاحة والبيان . . ومعنى البلاغة انتهاء النشء إلى غايته المطلوبة وكل واحد من الألفاظ الثلاثة يستعمل في الكلام وفي غيره والكلام في هذه المعاني الثلاثة هو بالنسبة إلى وقوعها في الكلام لا غير فالفصاحة تكون بالنسبة إلى اللفظ من وجهين . أحدهما أن يخرج لتلك الحروف من مخارجها ويخلص بعضها من بعض . والثاني أن يكون اللفظ مما ندأله فصحاء العرب وكثر في كلامهم وتكون بالنسبة إلى المعنى وهو أن يكون المعنى مخاصم من غيره .

والبلاغة تتعلق بالمعنى فقط وهو أن يبالغ المعنى من نفس السامع مبلغه ومما يعين على ذلك الفصاحة في كلام العرب . لأن الفصاحة من أجزاء البلاغة فإن الأعجمي إذا كان الأعجمي فبلغ منه المعنى غاية مبلغه كان كلامه بايماً ووصف بالبلاغة وليس من كلام العرب

والبيان في عرف الكلام أعم من كل واحد من الفصاحة والبلاغة لأن كل واحد منها من مادته وداخل في حقيقته ولذلك قد علم البيان وتكامله في الفصاحة والبلاغة وغيره . يوضع علم للفصاحة ولا علم للبلاغة وإذا كان البيان متعلقاً بالألفاظ والمعاني فليبدأ بذكر الألفاظ فنقول . . الحقيقة والحجاز استعمال اللفظ لما وضع له وضعاً أولياً وما وضع له بالنقل مناسفة ما بين المتقول إليه والمنقول منه والكلمات المفردة منها ما يستحسن ومنها ما يستبشع وذلك بحسب أمور . منها تباعد مخارج الحروف وتقاربها ومنها المنادى والحوشى . ومنها ما لم يتبدل له العامة وما ابتدأ به . ومنها أن تكون الكلمة وضعت في أصل وضعها غير مستقبحة المعنى ثم صرفها الاصطلاح آتفاً إلى ما يستقبح . ومنها التصغير فيما يليق به وما لا يليق . ومنها التركيب من أخف الأوزان وأثقلها .

ومنها ما تخف حركته أو تنقل • وترتيب مخارج الحروف همزة ألف ه ع ح غ خ ق
ك ج ش ي ض ل ن ر ط د ت ص ز س ظ ذ ث ف م و ب • • ولهذه الحروف فروع
تستحسن وهي الهمزة المسهلة والغنة وهي صوت يخرجها الخيشوم والفا الإيمالة والتفخيم
وهما ضدان والشين كالجيم والصاد كالزاي وفروع نستطيع وهي كاف كجيم وجيم ككاف
وجيم كشين وصاد كسين وطاء كطاء وظاء كظاء وباء كفاء وضاد ضعيفة

ومن الحروف مهموسة يجمعها سكت خفه شخص (والهمس اخفاء الصوت) وما عداها
مجهورة • ومنها شديدة يجمعها أجذك تطبق ومتوسطة يجمعها لم يروعا وما عداها
رخوة والصاد والضاد والطاء والظاء مطبقة (من أطبقت الحقة ونحوها) (١) وما عداها
منفتحة والمطبقة مع الغين والخاء والقاف مستعلية وما عداها منخفضة

وأحرف القلقة فطب جد (من القلقة التي هي شدة الصباح) واللين الألف
والياء والواو وهن مع الهمزة أحرف الاعتلال والتعريف اللام والمكرر الزاء والهاوى
الألف والمنهوت الهمزة (يقال هت الهمزة إذا تكلم بها والهاء عصر الصوت) وأحرف
الذلاقة مر بنقل (والذلاقة من الحدة والسرعة وحاصله في هذه الحروف تخايلها في
مخارجها) والمصمتة ما عداها وما سوى هذه من ألقاب الحروف نسب إلى مخارجها وما جاورها
ويأتي ذكره

ومخارج الحروف ستة عشر مخرجاً • أولها مخرج الهمزة والألف والهاء وتسمى
الحلقية وهذا وما بعده من النسب إلى المخارج أو ما جاورها • ويليه مخرجان وهما للعين
والحاء ومخرجان آخران فوق ذينك من أول الفم وهما للغين والخاء • وحرف من أقصى
اللسان وهو القاف • وأقل من مخرج القاف قليلاً مخرج الكاف وهذان الحرفان القاف
والكاف بسميان لهويين • وثلاثة أحرف من وسط اللسان وهي الجيم والشين والباء
وتسمى الشجرية • ومن أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد وتسمى

(١) الجمل التي بين الدوائر كتبت يهامش الأصل ولم يذكر معها ما يدل على أنها
منه أو تعلية عليه

المفرد المستطيل (أما كونه منفرداً فلكونه لا يقرب من مخرج حرف آخر وأما كونه مستطيلاً فلكونه مخرجه في عرض الأضراس وحافة اللسان في طوله وهما طويلاً يدل على ذلك اللفظ ويشهد له الحس) . ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه مما بينها وبين ما يليها من الحنك فويق الضاحك والنايب والرابعة والثنية مخرج اللام ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا السفلى مخرج النون . ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلاً لأخبره إلى اللام مخرج الراء وهذه الأحرف الثلاثة اللام والراء والنون من الذائبة . . قال سيدي . أن الأصول الخماسية لا تخلو من أحدها البتة . ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا ثلاثة أحرف وهي الطاء والذال والهاء وتسمى النطعية من النطق وهو غار الفم الأعلا ما بين أصول الأسنان العللا وأعلا الحلق . وثلاثة أحرف مما بين طرف اللسان وفوق الثنايا وهي الصاد والسين والزاي وتسمى الأسلية (من أسلة اللسان وهي طرفه المستدق) وثلاثة أحرف مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا وهي الطاء والذال والهاء وتسمى الثنوية . وحرف واحد مما بين باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا وهو الفاء . وثلاثة أحرف مما بين الشفتين وهي الباء والميم والواو وتسمى الشفهية

ويبنى للمتكم أن يحتجب حوشى الكلام إلا أن ألبأت إليه ضرورة والحوشى والوحشى بمعنى وهو الذى يعبد فهمه على أكثر من يسمعه ولا يكون ذلك معيياً إلا إذا قام مقامه غيره من البين لأكثر الناس وليس ذلك بالنسبة إلى من كان لغته من العرب ولا من تكلم معهم به لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطب طهفة بن أبي زهير النهدي فقال اللهم بارك لهم في محضها ومخضها وابعث راعيها في الدننر بيانع النمر والخمر له التمد وبارك له في المال والولد من أقام الصلاة كان مسلماً ومن آتى الزكاة كان محسناً ومن شهد أن لا إله إلا الله كان مخلصاً لكم بأبى نهد ودائع الشرك ووضائع الملك لا يلقط في الزكاة ولا يلحد في الحياة ولا يتناقل عن الصلاة فقال له على بن أبى طالب كرم الله وجهه يا رسول الله نحن بنو أب واحد وربنا في بلد واحد ونراك تكلم وفود العرب بما لم نفهم أكثره إنما يعاب على مثل ابن الرومى في قوله

إِسْفَنِي الْإِسْكِرْكَ الْمَتَّ مُبَرِّ فِي جَمْعُ مَلْفُونَهُ وَأَتَرَكَ الْفَيْجَنَ فَيَا يَا خَلْبِي بِفُصُونَهُ
وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْتَنَبَ فِي السَّكَلَامِ مَا نَقَلْتَهُ الْعَامَّةُ عَنْ أَصْلِهِ وَاسْتَعْمَلْتَهُ فِي غَيْرِهِ مِمَّا يَبْجَحُ
ذِكْرُهُ أَوْ يَسْتَمْعَجُ كَتَخْصِيصِ الْجَحْرِ بِالْخُلْ الْخُصُوصِ وَابْتِدَافِ السَّيْنِ بِالصَّادِ فِي الْمَسْرَمِ
وَالْعَصْرَمِ الْقَطْعِ وَالْعَلَقِ فِي الْأَمْرَدِ السَّيِّئِ السَّيْرَةِ وَالْفَتَاقِ جَمْعُ رَفَقٍ قَدْ تَفَنَّنَتْ الْعَوَامُ
إِلَى الطَّعَامِ الْخُصُوصِ وَكَذَلِكَ انْقِطَاعُ الْفُطَيْنَةِ نَقْلٌ مِنَ الْأَكْسِيَةِ الْمُخْمَلَةِ إِلَى الطَّعَامِ
الْخُصُوصِ . . . وَفِي هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْمَذْكُورَةِ عَنِ الْعَرَبِ مَا تَغَيَّرَ عَنْ وَضْعِهِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ
لَكِنْ لَمْ يُخْرَجْ عَنْ كَوْنِهِ مُسْتَعْمَلًا فِي الْحَسَنِ أَوْ الْقَبِيحِ قَالَتِ الْعَرَبُ الصَّبَاحَةَ فِي الْوُجْهِ .
الْوَضَاعَةَ فِي الْبَشِيرَةِ . الْجَمَالَ فِي الْأَنْفِ . الْحَلَاوَةَ فِي الْعَيْنَيْنِ . الْمَلَاحِظَةَ فِي الذِّمِّ .
الظَّرْفَ فِي الْإِنْسَانِ . الرِّشَاقَةَ فِي الْقَدَمِ . الْهَيَاقَةَ فِي الشَّوَالِ . كَالِ الْحَسَنِ فِي الشَّعْرِ .
وَكَاسْتِعْمَالِ الْحَسَنِ فِي الْخَبِيرِ مِنَ النَّاسِ وَغَيْرِهِمْ . وَقِيلَ إِنَّ هَذَا الَّذِي نَقَلَ إِلَى مَا هُوَ حَسَنٌ
كَالْأَصْلِ أَوْ قَبِيحٌ كَالْأَصْلِ يَنْبَغِي أَنْ يُجْتَنَبَ وَعَدَى لَيْسَ كَذَلِكَ

وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُعَدَلَ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا ابْتَدَأَتْهُ الْعَامَّةُ وَكَثُرَ فِي كَلَامِهَا وَإِنْ
كَانَ صَحِيحًا كَالْفَتْحِ وَالرَّقْبَةِ وَالْحَسَنِ أَنْ يُعَدَلَ عَنْهُ إِلَى الظَّاهِرِ وَالْعَنَقِ
وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُجْتَنَبَ مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ صَدِيدَيْنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ قَرِينَةٌ تَحْمِصُهُ
بِالْإِرَادَةِ كَقَوْلِكَ غَزَرَتْ فَلَانًا هُوَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ عَظَمَتُهُ أَوْ أَهْنَتُهُ

وَمِنَ الْبَيَانِ - النَّصْفِيرِ - قَدْ يَرِدُ لِمَعْنَى وَأَصْلُهُ التَّخْفِيرُ فِي الْقَدَارِ وَإِذَا وَرَدَ فِي الْمَعْنَى كَانَ
تَشْبِيهًا لَهُ بِالْقَدَارِ فَهُوَ إِذَا لَتَّخْفِيرًا وَالتَّخْفِيرُ قَدْ يَحِبُّ لَصَفَرٍ فَيَقَالُ فِيهِ تَصْغِيرُ التَّخْجِيبِ وَالْمَعْنَى
قَدْ يَحْقَرُ فِي نَفْسِهِ وَبِعَظَمِ أَرْوِهِ فَيَقَالُ فِيهِ تَصْغِيرُ التَّعْظِيمِ . . . أَمثالُهُ ذَلِكَ تَصْغِيرُ الشَّيْءِ لَا لِلتَّخْجِيبِ
مِثْلَ جَبِيلٍ فِي الْأَجْسَامِ وَفَوْيْقَ وَتَحْتِ فِي ظَرْفِ الْمَكَانِ وَقَبِيلٌ وَوَقَبَتْ فِي ظَرْفِ
الزَّمَانِ وَدَرَاهِمَاتٍ وَأَجْبَاهٍ فِي الْعَدَدِ . . . وَالتَّخْجِيبُ مِثْلُ يَا أَخِي وَيَا ابْنِي وَمِنْهُ قَوْلُ غَضَبَةٍ
تَحْجِبَتْ عَيْنَانَهُ مِنْ قَتْلِ مُتَبَدِّلٍ عَارِي الْأَشْجَاعِ شَاخِبِ كَالْمُتَّصِلِ

وَالنَّصْفِيرُ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى قَدْ يَكُونُ لِحُجْرَةِ التَّخْفِيرِ كَقَوْلِنَا لَارْجُلِ الْجَبَانِ أَوْ الْجَاهِلِ رَجِيلٌ
وَقَدْ يَكُونُ لِلتَّعْظِيمِ أَرْوَهُ وَحَقَارَتِهِ كَقَوْلِهِ دَوِيهِيَّةٌ تَصْفَرُّ مِنْهَا الْأَنْثَمِلُ
وَأَمَّا مَا جَاءَ مَوْضُوعًا لِمَسَاءِ عَلَى مِثَالِ مَنْ أَبْنِيَةَ التَّصْغِيرِ كَالنَّجِيبِ وَالْكَمِيَّتِ فِي الْأَجْنَاسِ

والتريا وسهيل في الاعلام فليس من هذا الباب . . وأصل أبنية التصغير وزن فاعيل
وفاعيل في الحركات والسكنات وزيادة ياء التصغير لا في الأصول والزوائد من
الحروف وقد يزداد مع ذلك ياء عوض حرف اللين فيجيء على وزن فاعيل مثل
منيديل ودينير ومنيصير في منديل ودينار ومنصور . . والخامس الأصول بخذف خاتمه
في الغالب كقولهم في سفر رجل سفيرج وقد يخذف رابعه كقولهم في فرزدق فريزق
وقد يزداد فيه ياء هي مدة كقولهم في سفر رجل سفيرج ويبقى مع هذه الأمثلة بقض
الحروف الزوائد مثل الألف والنون في سكران فيقال سكران والألف الرابعة
في اجمال فيقال أجمال وخبيلى وخمراء وعلباء وشذ عن الأصلين المذكورين تصغير
اسم الإشارة والموصول نحو ذيا وثيا واللذيا واللتيا وشذ زيادة ألف ونون فيما ليست في
أصله نحو مغيربان في تصغير مغرب واستقصاء الكلام في التصغير يؤخذ من علم
التصريف وفيما ذكرناه هذا كفاية والتصغير وإن كان مستحسنًا فذلك مع قلته في
الكلام وإذا كثر سمح وكذلك كل ما يستحسن من أبواب البديع كالنخبين
والمطابقة وغير ذلك وإذا كانت الكلمتان على السواء في المعنى وحسن التركيب
في تأليف حروفهما وأتلاف كل واحدة منهما معاً صحها واحداً أطول من
الأخرى كان الأنيان بأقلهما حروفاً أحسن لطفها هذا إذا لم يقصد في الكلام التهويل
واشغال السمع بطولها والطول إن كان بحروف الأصول أو الزوائد سواء

وأصل الكثير من الكلام ثلاثة والرابعى للأصول قليل والخامس قليل جداً
ولا تزيد الأصول عليه ولم يجز في فعل ولا مصدر من الأسماء ولا ما اشتق منه . . والأسماء
تكون مجردة عن الزوائد وينتهى الثلاثى الأصول والرابعى بالزيادة إلى سبعة أحرف ولا يزداد
على الخامس سوى حرف واحد ولا يزيد الفعل ثلاثى الأصل كان أو رباعيه على ستة أحرف
والحروف منها ما هو خفيف ومنها ما هو ثقیل ومنها ما هو خفيف بالنسبة إلى شئ وثقیل
بالنسبة إلى شئ آخر فأخف الحروف حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو .
والألف أخف من الياء والياء أخف من الواو والحرف الساكن أخف من المتحرك
والفتحة أخف من المكسرة والمكسرة أخف من المضمومة والحرف إذا انكم ثقل

والانتقال من الواو الى الياء ثقيل والانتقال من الياء الى الواو أنقل منه والضمة والكسرة مثلها هذا بالنسبة الى اللفظة المفردة أما بالنسبة الى التركيب فانه ينبغي أن يكون اللفظ والمعنى متساويين كما تساوى اللفظة الواحدة معناها ومعنى ذلك أن لا يكون اللفظ محتملاً لمعان فيشكل على السامع المقصود وان ترجع لاحتمال المرجوح فانه اذا زاد اللقظ على المعنى كان للزائد معنى يزيد على المعنى المطلوب واذا نقص اللفظ عن المعنى سقط جزء من المعنى المطلوب وقد يطلب في بعض الأماكن الاختصار لأمر كسام السامع وفوات الفرض عند التطويل أو فوات أمر آخر بسبب التطويل وقد يطلب التطويل لأمر كتأنيس السامع وارهابه ونهويل المعنى وتعميم أمره وأن تكون الكلمات المتجاورة متناسبة ليس بينها تنافر من جهة الاستعمال ولا من جهة الحروف .. واعلم ان العناية بالمعنى أعظم من العناية باللفظ لتتمام غرض المتكلم من افهام السامع فلا يفي حسن اللفظ بما نقص من المعنى والمعاني وان اختلفت في الجودة والرداءة فقد يراد الجيد لذاته وقد يراد الردي لذاته فيقع وضع الجيد في موضع الردي كما يقع وضع الردي في موضع الجيد ويمدح المؤلف بابتداع المعنى الذي لم يسبق اليه وينبئ أن يقال الذي لم يسمعه قبل ابتداعه فان سبق الى المعنى يقل لكثرة ما قال الناس .. ولا فرق بين من لم يسبق وبين من لم يسمع فان كل واحد منهما مبتدع وانما يتقص من لم يسمع بقلة اطلاعه على كلام الناس ولا يقدح ذلك في قريحته بل تعظم لذلك

وللحروف خواص ولتركيب بعضها مع بعض خواص وليس هذا من هذا الباب فانه يحدث للمتكلم وان لم يقصده وبقل أثره ويكثر بالنسبة الى القائل وذلك في الكلمة الواحدة وتركيبها مع غيرها فان من الكلام المبكى والمضحك والمنوم وما يعمل على الاخلاق المحمودة والمذمومة كالشجاعة والكرم والافنة وأضداد ذلك .. وتختلف الناس بالتأثر لذلك لاختلاف طباعهم وأمرجهم وأحوالهم وقد يختلف كلام المتكلم لاختلاف حالاته كقول امرئ القيس

ولو أن ما أنسى لأذن معيشة كفاي ولم أطلب قليل من المال

فقلتُ له لا تترك عينك إنما نحاولُ مُلكاً أو نموتُ فمعدراً

.. وقوله

قتلاً يَتَبَا أِقْطاً وَسَمناً وحبك من غنى شبع ورئ

وفي هذا تباين في معناه بالنسبة الى أحواله .. وفي بيت امرئ القيس الأول بحث ليس عما نحن فيه لكن يحسن ذكره لما فيه من دقيق البيان وذلك ان الكوفيين يستدلون به على مذهبهم من إعمال الأول من المتنازعين .. وقال البصريون ليس هذا من تنازع العاملين لفساد المعنى وان مفعول لم أطلب شيء وليس قبلاً ولا يفد المعنى على رأى الكوفيين فان القليل قد يكفه بان يأتيه عفواً من غير طلب لكن يسقط استدلال الكوفيين باحتمال ما ذكر البصريون من المعنى فكيف يرجحانه

وأما المسبوق فينبغي له اذا استعمل المعنى أن يزيد فيه وان يكسوه من الألفاظ ما هو أليق به وأدنى درجاته أن لا ينقصه عن السابق والافهم مذموم على مزاحته .. وفي الناس من يعتنى بالمعنى دون اللفظ كعماني التنبي العالية مع ألفاظه المعجرفة وفي الناس من يعتنى باللفظ دون المعنى وهو دون تلك الطبقة كقول أبي تمام

وأحسن من رَوْضٍ تَفْتَحُهُ الْعُصَا بِيَاضِ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ

اللفظ في غاية الحسن والمعنى اذا تحقق ليس بحيد فان التفصيل لا يقع الا بين مشتركين في أمر حقيقي أو مجازي ولا اشتراك بين حقيقي ومجازي وحسن الترويض تفتحه العبا حقيقي مشاهد بالحس وبياض العطايا وسواد المطالب مجازيان لانهما غير مدركين بالحس ومن الناس من قال إن قول بعض العرب

ولما قضينا من مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَحَ بِالْأَرْكَانِ مِنْهُ مَا سَحَ

أخذنا بأطراف الأحاديث يَبْنِئَا وَسَأَلَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطَى الْأَبَاطِحُ

بما لفظه في غاية الحسن ومعناه ضميم وليس كذلك بل معناه أيضاً في غاية الحسن والشرف فان قوله - قضينا من مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ - عني به العبادة وأفعال الحج وبدل عابه قوله - ومسح بالاركان منهُ ما سَحَ - لما فرغ من أفعال النسك أخذ في ذكر الانصراف والأخذ بأطراف الأحاديث فيه وهو من أشرف أحوال المحبين فان فيه من الإيماء

الى المعاني وعدم التصريح بها ما هو من أجل الأشياء في هذا الموضع وفيه معنى لطيف
مطلوب وذلك ان هذه الحال قريبة من التفرق ولا تحذف اتساع الأحاديث بحملتها
فلذلك قال بأطراف الأحاديث لانه يأخذ من كل حديث في نفسه طرفاً والأخذ
بأطراف الأحاديث أيضاً بين الأدباء والفضلاء من أجل المعاني لدلالته على غزارة علومهم
ومعرفتهم بالجمل من الأطراف

وقد اختلف الناس في تفضيل النثر على النظم والنظم على النثر ورجح كل واحد
منهما بترجيحات يمكن أن ترى بالأجوبة عنها والذي عندي في ذلك ان الشعر
فيه كلما في النثر وزيادة الوزن ولا يرد كون القرآن الكريم غير منظوم فانه أريد به
تعجيز كل من يتكلم بالعربية والذين يتكلمون بها جميعهم في طباعهم الكلام المسجوع
وليس النظم في طباع جميعهم فلو كان منظوماً لجاز أن يقول من لا طبع له ما أنا من
أهله فأعجز به كما يقول الأنجمي ما أنا من أهل العربية فأعجز بالكلام العربي ولا يرد
كثرة النظم في قوم أو قلة النثر في قوم فان ذلك يقل ويكثر لا لصعوبة والسهولة بل
لانهم أحبوه فأكثروا منه كما أكثر النغارية من الموشح والعجم من دويبت وأهل
العراق من كان وكان

ولذلك الآن المعاني التي يبحث فيها عن علم البيان معنى ومعنى والتي يشبه أن تكون
موضوع علم البيان

فمنها - الاستعارة - وهي نوع من أنواع المجاز ومعناها في الحقيقة التشبيه لكن
حذفت أدواته ليكون أبلغ وأوقع في النفس وهو أن تسمى الشيء باسم غيره لشبهه
به وارادتك وصفه بوصفه كقولك للرجل أسد لشجاعته وبحر لكرمه وطوبى لثباته
وما أشبه ذلك وهو كثير فنه نقل اسم المنقول منه الى المتقول اليه من غير ذكر اسم
المنقول اليه كأنك جعلته إياه حقيقة للمبالغة كقولك يا بدر وياضي .. ومنه ما يذكر
منه اسم المنقول اليه كقولك زيد أسد إخباراً وجاء زيد الأسد صفة من غير أن تذكر
المعنى المستعار له وان كان سيويه قد استضعف بالاسم وان دل على الصفة كدلالة
الاسد على الشجاعة وقد يذكر المعنى المستعار لأجله كقولك زيد أسد بسالة وجاء زيد

البحر جوداً وما لا يذكر معه اسم المنفون اليه ولكن ذكر معه ما يدل عليه كقولك
يافر الأرض وياطبية الأنس وهذا متوسط بين المنعيين وإن كان من القسم الأول . . ومن
الاستعارة ما هو في غاية الحسن . . ومنها ما هو حسن ومنها ما هو مستبشع فأما ما هو
في غاية الحسن فكقوله تعالى وجمالنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية
النهار مبصرة استعار المحو لليل لعدم ادراكك المبصرات فيه فهو كالممحو من الرسم وغيره
ولا يدرك فيه شيء بالبصر إلا بواسطة غيره كالكواكب والنار واستعار الإبصار للنهار
لكشفه المبصرات وتحقيق الناظر لها وقد يقال هذه الاستعارة في غاية الحسن بالنسبة
إلى كلام البشر لا إلى أنه ككلام الله فإن كلام الله ليس ككلام البشر . . ومنه
قول ابن الرومي

أراؤهم ووجوههم وسيوفهم في الحادثات إذا دجّون نجوم
منها معالم للهدى ومصباح تجلو الدجى والأخريات رجوم

وأما ما هو حسن ولا يبلغ درجة الأول قول بعضهم
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نضم الجزع ناقبة
وانما نقص بالاحالة لأن الأحساب وإن كانت قد وصفت بالأضاءة لظهورها والأوجه
وإن كانت قد وصفت بالأضاءة لحسنها فانهما لا يضيئان الليل بخلاف قول ابن الرومي
- نجوم - فإن النجوم مضيئة في أنفسها . . وأما ما هو مستبشع فكقول المتنبي
إذا كان بعض الناس سيفاً لدولة في الناس بوقات لها وطبول
وإما عتبه عند المنصب ظاهرة فانه أراد بذلك حط مرتبتهم فاستعمل اللفظ السمج في
قوله بوقات وطبول مع أنها تظهر نخامة السبادة وتنوء بها فلم يحصل له المعنى المراد
مع سباحة اللفظ . . والاستعارة تكون للأسماء والصفات والأفعال . أما استعارة الاسم
فكقولك زيد أسد والصفة كعبصرة في آية النهار والفعل كاشتعل الرأس شيباً

ومنها التشبيه وهو الإخبار بالشبه فلتبين الشبه فنقول هو اشتراك الشبثين في صفة
أو أكثر ولا يستوعب جميع الصفات ولم يبق إلا كون كل واحد منهما غير الآخر ولو لم يكن
كذلك لكنا شيئاً واحداً عبر عنه بعبارتين ولا شبه حينئذ بين الشيء ونفسه إذ لا بين

• والتشبيه يكون للأدنى بالأعلى غالباً بل لا بد من ذلك لأن الغرض رفع درجة الأدنى الى درجة الأعلى لا بالعكس وقد يقلب بعضهم ذلك مبالغاً ولا بد من قرينة تدل على مراد القالب من رفع درجة الأدنى الى درجة الأعلى فكقول بعضهم

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ هَالَةٍ فِي مَقْدَرٍ يُشَابِهُ حُسْنَهَا إِلَّا الْهَلَالَا

ولا بد في التشبيه من اداته وهي الكاف أو كأن أو ارادتها أو ارادة معناها ومتى خلا عن ذلك فهو الاستعارة فإن المستعير قصد نقل اسم المستعار منه الى المستعار له أي هو هو ولزمه معنى التشبيه من غير قصد • • والتشبيه ينقسم الى تشبيه الصورة بالصورة والمعنى بالمعنى والصورة بالمعنى والمعنى بالصورة أما تشبيه الصورة بالصورة فكقول امرئ القيس

كَأَن سِرَاتِهِ لَدَى الْبَيْتِ قَائِمًا مَدَاكُ عَرُوسٍ أَوْ صَرَايَةِ حَنْظَلٍ (١)

وأما تشبيه المعنى بالمعنى فكقول عنزة

وَحَلَا الذُّبَابُ بِهَا فَلَيْسَ بِأَرْحٍ غَرَدًا كَفَعَلِ الشَّارِبِ الْمُتَرْتِمِ

وأما تشبيه الصورة بالمعنى فكقول امرئ القيس

كَأَن الْعَصَى مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا إِذَا نَحَلْتَهُ رِجْلَاهَا خَذَفُ أَعْرَا

وأما تشبيه المعنى بالصورة فكقول امرئ القيس والنوأم

كَأَن كَهْرِيْزَةً بُورَاءَ غَيْثٍ عِشَارُهُ وَلَهُ لَاقَتْ عِشَارَا

وتشبيه المعنى بالصورة والصورة بالمعنى لا بد فيه من تجوز وتأويل يرجع الى تشبيه الصورة بالصورة والمعنى بالمعنى ومن عد تشبيه المعنى بالصورة ولم يعد تشبيه الصورة بالمعنى لامتني لترجيحه أحد الأمرين على الآخر بل إما أن يعدا معاً أو لا يعدا معاً وكل واحد من هذه الأقسام ينقسم الى تشبيه مفرد بمفرد كقول المتنبي

مُعَارَاً مُنْقَطَتْ فِي الدَّانِ حَقٌّ كَانَ مُجَابَهَا حَقُّ الْجَرَادِ

والى تشبيه مركب بمركب ومعناها تشبيه المركب بالمركب لا كل جزء بجزء على سبيل

(١) كذا في الاصل والمحمول

كَأَن عَلَى الثَّيْنِ مِنْهُ إِذَا انْتَحَى مَدَاكُ عَرُوسٍ أَوْ صَلَابَةِ حَنْظَلٍ

الانفراد كقول الشاعر

بَكْرَنَ بُكُوراً وَاسْتَحَرَّنَ بِسُحْرَةٍ فَمِنْ وَوَادَى الرِّسِ كَالِدِرِ لِلْفَمِ
وإذا كان تشبيه كل جزء بنظيره على سبيل الانفراد فهو تشبيه المفرد بالمفرد
كقول امرئ القيس

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَبَاسًا لَدَى وَكْرِهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
والى تشبيه مفرد بمركب كقول القائل
تُرْجَى أَغْنَى كَأَنَّ لَابِرَةً رَوْقِي قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاقِرِ مِدَادَهَا
وأما تشبيه المركب بالمفرد فكقول أبي نواس

رَقَّ الزُّجَاجُ وَرَاقَتْ الخَمْرُ فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ الْأَمْرُ
فَكَانَا سَحَرًا وَلَا قَدَحًا وَكَانَا قَدَحًا وَلَا خَرًا
فتشبيه المفرد بالمركب والمركب بالمفرد أيضاً راجع الى تشبيه المفرد بالمفرد والمركب
بالمركب ولا معنى لتخصيص أحدهما دون الآخر بالذكر كما سبق في الصورة بالمعنى والمعنى
بالصورة .. وأيضاً فكل متشابهين اذا شبت أحدهما بالثاني فلا معنى لامتاع تشبيه
الثاني بالاول من الوجه الذى وقع التشبيه به بينهما

ومن التشبيه تشبيه حالة الشئ بحالة له أخرى ومن أحسنه تشبيه وجود الحالة
بعدمها كقول امرئ القيس

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا لِلذِّئَةِ وَلَمْ أُنْبِطْنِ كَاعْبَاءَ ذَاتِ خَلْخَالٍ
وَلَمْ أُسَبِّ الزَّقَّ الرُّوَّى وَلَمْ أَقْلُ لَخِيلِي كَرُمَى كَرْمَةٍ بَعْدَ إِجْفَالٍ
وقد أورد بعض الناس على امرئ القيس فى هذين البيتين وقال ما مناسب بين
أنصافهما ولو ناسب لقال

كَأَنِّي لَمْ أَرْكَبْ جَوَادًا وَلَمْ أَقْلُ لَخِيلِي كَرُمَى كَرْمَةٍ بَعْدَ إِجْفَالٍ
وَلَمْ أُسَبِّ الزَّقَّ الرُّوَّى لِأَذَى وَلَمْ أُنْبِطْنِ كَاعْبَاءَ ذَاتِ خَلْخَالٍ
جامعاً بين ما يتعلق بركوب الخيل وبين ما يتعلق بالشرب والنساء .. والجواب
عن ذلك انه وان كان بين ما أوردته من الترتيب مناسبة فان بين ترتيب امرئ القيس

مناسبة وهي انه جمع بين ركوب الخيل وركوب النساء وبين سباه الخمر للكرم
وكر الخيل للشجاعة وفيه زيادة في المعنى فان ركوب الخيل للذة ثم نحصل من ذلك الترتيب
ومن المعلوم ان سباه انزق لابد فيه من اللذة فلا حاجة الى قوله فيه لذة . . ومن ذلك
قول عنزة وفيه زيادة لطيفة

وكان رُبّاً أو كَجَيْلاً مُعْقِداً حَسْبُ الْوَقُودِ بِهِ جَوَابُ قَعْمٍ
بِنَبَاعٍ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ زَيْفَاةٍ مِثْلِ النَّيْقِ الْمَكْدَمِ

وقد شبه فيه حالة العدم بحالة وجود فهو عكس ما تقدم وهو من مقلوب التشبيه فان مراده
تشبيه الذي بنباع من ذفرى الناقة بالرب والسكحيل

ومن التشبيه نوع مستهجن لبعده الشبه كقول المتنبي

لساحبه على الأحداثِ حَفَشٌ كَأَيْدِي الْخَيْلِ ابْصُرْتَ الْمَخَالِي

فما أبعد هذا الشبه وأسمج هذه الالفاظ مع جمعه بين الحوشى في أول البيت والمبتذل
في آخره . ومن التوسعات في اللغة العربية أمور . . منها الرجوع من الغيبة الى الحضور
ومن الحضور الى الغيبة . . فن ذلك ما جاء في فتحة الكتاب من اولها الى مائة يوم
الدين متعلق بالغائب وهو حمد الله وتعظيمه بذكر أسمائه العظام وما بعد ذلك رجوع
فيه من الغيبة الى الخطاب ولا يخلو شيء من ذلك مع توسع العرب في كلامهم عن معان
لطيفة وفوائد فراد الله تعالى أن نصلى بالفتحة فابتداءً بتعظيمه على سبيل الغيبة فان في
ذكر الحاضر بالفاظ دالة على الغيبة إشعاراً بتعظيمه ثم انتقل من الغيبة الى مخاطبة
الحاضر إشعاراً بالقرب المستحق من الحمد والتعظيم مع التوسط في الأمر بالإخبار
بعبادته والاستعانة به فقال تعالى إياك نعبد وإياك نستعين ثم انتقل من ذلك الى السؤال
والدعاء بقوله أهدنا الصراط المستقيم الى آخر السورة وفي ما بقي من السورة اضافة النعمة
الى ضمير المخاطب وهو من الحضور فقال الذين أنعمت عليهم ووصفهم بغير الغضوب
عليهم على سبيل الغيبة ولم يقل غير الذين غضبت عليهم أدياً مع الله تعالى في انه لم يصف
الغضب اليه مخاطباً . . ومن ذلك قول عنزة

أَمِنْ سُهْبَةٍ دَمَعُ الْعَيْنِ تَذْرِيفُ لَوْ أَنَّ ذَا مَنِّكَ قَبْلَ الْيَوْمِ مَعْرُوفُ

تَجَلَّسَنِي إِذْ أَهْوَى الْعَصَا قَبْلِي كَأَنهَا صَمٌّ يُمْتَادُ مَعَكُوفٌ
لما تعجب منها ذكرها على سبيل الغيبة مخاطباً لنفسه ثم انتقل الى خطابها تقرأ اليها
ثم انتقل الى الثناء عليها وذكر احسانها اليه على سبيل الغيبة افشاء لذلك وبثاله ولو
خطبها به لجاز أن يكون مقتصرأ على ذلك وهذا من أفصح كلام البشر وأبلغه وألطفه
بيانا . ومن الانتقال من الغيبة الى ضمير المتكلم ومنه الى الغيبة قوله تعالى ولقد أخذنا
ميثاق بني اسرائيل وبعثناهم اثني عشر نقيبا وقال الله اني معكم فانتقل من الغيبة الى
ضمير نفسه ثم من ضمير نفسه الى الغيبة ولو قال وبعث منهم لكان الظاهر في هذه
الواو أنها واو العطف وفي قوله وبعثنا ظهرت المخالفة (للمخالفة) بين الغيبة والحضور
فيظهر حينئذ ان الواو للحال وحينئذ يكون معنأ لهم بذكر نعمه عليهم مع مخالفتهم
ونقضهم الميثاق ثم انتقل الى الغيبة بقوله وقال الله اني معكم ميثا أن هذا القول مع أخذ
الميثاق وليس معطوفا على الحال التي امت بها وذلك مما ينبغي أن يحافظوا على الميثاق لاجله
فمحافظةهم على الميثاق نجبل وجهين . أحدهما منته عليهم ببعث النقباء منهم والرفع لقدرهم
بذلك . والثاني إعلامهم بأنه معهم ومنه قول العظمش

اذا مت فابكي يا علي وأعولي على هالك جليل أجل وأوجع
وانغوا اذا مامال مثل غنائم ولا تجرز الاعداء ما كنت أمتع
سيفرح إن مات العظمش عصية اذا فاه من رهط العظمش رضع
فيا فرحة ما يفرح عدونا اذا ماجرت فوق أما ليس بلقم

حياته تناسب الحضور وموته يناسب الغيبة فلذلك جعل كلامه في حياته حاضرا وما
يكون بعد موته من فعل غيره وقوله غائبا وقوله أجل وأوجع بالرفع خبر عن موته
وحذفه لدلالة اذا مت عليه والمفضل عليه أيضاً محذوف معناه موته أجل الاشياء
وأوجعها وسباق الكلام يدل على ذلك أيضاً

ومن ذلك الانتقال من ضمير الواحد الى ضمير الجمع اذا كانا عائدتين الى المبهم كن
وما بمعنى الذي وشرطاً واستفهاماً فان ابن عطية والزحسري وغيرها قالوا انه اذا ابتدئ
بالفرد منهما جاز أن يوتي بعده بضمير الجمع واذا ابتدئ بضمير الجمع لا يجوز الاثنان

بضمير المفرد بعده وأقول ان ذلك لأن العائد اليه مفرد في اللفظ ويحذف مدلوله
الجمع فإذا أعاد اليه الضمير المفرد فهو باق على ما كان عليه من الإبهام فيجوز أن
يؤتى بما يحمله اللفظ وإذا أتى بضمير الجمع فقد تعين ان مدلوله الجمع فلا يعود الى
المفرد وكتاب الله مشحون بذلك ومنه قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم
الآخر وما هم بمؤمنين أفرد الضمير في يقول وأتى بعده بضمائر الجمع وما أتى بعد
ذلك بنتها ولا بعدها بمفرد وهذا الامتناع إنما يكون عند إرادة الحقيقة وأما لو تجوز
فلا امتناع فيكون حينئذ هذا التعليل الأولوية ولذلك كثر في القرآن العزيز لأنه
لنصاحته لا يأتي الا بالاولى وقد جاء قوله تعالى فن الناس من يقول ربنا آتنا في
الدنيا وما له في الآخرة من خلاق فقد أتى بالضمير في يقول مفرداً وأتى بعده بضمير
الجمع في قوله ربنا وآتنا وبضمير المفرد بعدهما في قوله وما له في الآخرة من خلاق
••• فلو قيل ان من يقول واحداً دعاه ولغيره على سبيل الجمع فلم يتعين الجمع بذلك فأتى
بالمفرد بعده قلنا الامر بخلاف ذلك لان البعض من الناس الذي يقول ليس بواحد فقط
بل آحاد فيكون الضمير عائداً اليهم وإنما أتى بالمفرد ههنا لكون المعبر عنه بمن بعضاً
والبعض واحد وان كان محتملاً للجمع ولا تنقي البعضية لذلك فأعاد عليه الضمير المفرد
لأنه بعض وان وقع على كثيره ••• ومن ذلك الرجوع من الفعل المستقبل الى فعل الامر
وبالعكس نعظيها للمخبر عنه بالمستقبل وحطاً بقدر المأمور لان المأمور مستنقص بالامر
ومنه قوله تعالى حكاية عن هود عليه السلام إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما
تشركون ولم يقل وأشهدكم تنقيصاً لهم ونعظيها لله ومثله عكس ذلك وهو قوله تعالى
وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ولم يقل ولير الله تعظيها لله ورسوله
والمؤمنين

ومن ذلك الرجوع من مخاطبة الواحد الى مخاطبة الاثنين وإلى مخاطبة الجمع ومن
مخاطبة الاثنين الى مخاطبة الواحد وإلى مخاطبة الجمع ومن مخاطبة الجمع الى مخاطبة الواحد
وإلى مخاطبة الاثنين ••• وهذه ستة أنواع ولا يمكن غيرها ••• مثال الاول قوله تعالى
قلوا أجبنا لئن قلنا آمنا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الارض وما نحن

السكا بمؤمنين خاطبوا موسى أولاً لانه الاصل في الرسالة وهارون ووزيره ثم جمعوا بينهما في الخطاب لاشتراكهما في الرسالة وان كان موسى هو الاصل تنبيهاً على مرتبتهما .
ومثال الثاني قوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم لانه الرسول وهو الذي يخاطب الناس عن الله ثم جمع بينه وبين الأمة لأن الحكم شامل له ولهم . ومثال الثالث قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى لانهما خاطباه جميعاً بالرسالة فأجابهما أولاً ثم انتقل الى موسى عليه السلام لانه صاحب الآيات والمعجزات . ومثال الرابع والخامس قوله تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن نبوا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين خاطب تعالى موسى وأخاه لانه أوحى اليهما معاً وان النبوة برساتهما ولهما الحكم في ذلك ثم جمع بينهما وبين قومهما لان كل واحد منهما مأمور بان يعمل بيته قبلة ثم أفرد موسى عليه السلام بقوله وبشر المؤمنين تنبيهاً على مرتبته من الرسالة وانه الأصل فيها . ومثال السادس قوله تعالى يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تفقدون إلا بساطان فتأى آلاء ربكما تكذبان خاطب فتى الجن والانس على سبيل الجمع لانه جيز كل فرد فرد منهما ثم عقبه بقوله تعالى فتأى آلاء ربكما تكذبان لأن تكذيب واحد من الطائفة منسوب اليها لان جميع الطائفة مأمور برده عن التكذيب ولان ذلك تقرع لكل طائفة لان التكذيب في غريزتها وتنبيهاً على ان التكذيب في الجن أكثر منه في الانس وأفعش لانه ينبغي أن يكون فيهم أقل لبسطة خالفهم والبسطة مظنة العلم ولكونهم يرون الانس من حيث لا يرونهم ولكونهم أقدم وجوداً من الانس فاللائق بهم الشكر بالتصديق لا التكذيب ولذلك قدمهم على الانس في الذكر

ومن ذلك استعمال الفعل الماضي في موضع الفعل المضارع واستعمال الفعل المضارع في موضع الفعل الماضي وفيه على كل حال تأكيد لوقوع الفعل وتحقيقه أما وضع الماضي في موضع المضارع أما الحال فلا بد أن يكون قد مضى منه جزء ما فاذا أطلق عليه الماضي بذلك الاعتبار كان قريباً من الحقيقة واشعاراً بتمامه وحمّة

وقوعه وأما المستقبل فوضع الماضي في موضعه يدل على تحقق وقوعه وقربه من الحال كقوله تعالى آتى أمر الله فلا تستعجلوه وهذا دليل على قربه من زمن الحال ومنه قوله تعالى ويوم تسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نقادر منهم أحداً يوم تسير الجبال مستقبل والحشر فيه فأتى بلفظ الماضي لتحقيقه فكانه قد وقع ويجوز أن تكون الواو حالية وقد حذف معها قد فيكون المعنى بقوله يوم تسير الجبال ليس يوم الحشر بل يكون متأخراً عنه والمراد بقوله يوم زمان تسير الجبال لا يوم القيامة جميعه وأما وضع المضارع في موضع الماضي فلا يخلو عن أن يكون حكاية الحال وقد يريد المخبر بذلك أن يخيّل للسامع الصورة الحالية كأنه يراها كقوله تعالى وإذا غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاماً للقتال فهذه حكاية الحال الواقعة في الماضي ولو جرى بهذا ما ضياً لاحقاً مع الـ واو العطف فكان غدوت وبراءت فلا يتحقق منه الحال لاحتمال كون كل واحد منهما وحده وفي زمن غير زمنه والتخييل للسامع مع ذلك كقول نابط شراً فأتى قد لقيت القول نهوى بسهب كالصحيفة كخصمان

فأضربها بلا دهن شغرت صريعاً للبدن وللجراح

وقد يقع الماضي والمضارع على صورة الاخبار والمراد الأمر أو النهي كقوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم وقوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وقوله تعالى بوصيكم الله في أولادكم لذلك مثل حظ الأنثيين وقوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا الله أبداً وقد يكون ذلك بالاسم كقوله تعالى والله على الناس حج البيت وكقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج وكقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وكل ذلك لتوكيد الأمر والجزم به لأن الأمر إنشاء والخبر واقع ويستعمل جميع ذلك على سبيل الانشاء كمن يقول في الطلاق طلقك وأطلقك وأطلقني مع نية انشاء الطلاق وأنت طالق

ومن البيان ارادة نفي النفي بنى غيره ونفي النفي بآيات غيره وآيات النفي بآيات غيره وآيات النفي بنى غيره وقد يكون المراد نفيه أو انباته واجب النفي أو الاتبات أو جائز النفي والاتبات والقربة تدل على ارادة النفي أو ارادة الاتبات . فنال الاول

مع جواز عدم المراد ما نقل عن علي عليه السلام انه قال في وصف مجلس النبي صلى الله عليه وسلم لانتى فلتاته أى لا تداع بمعنى انه لا فلتات له فلا تنفى قرينة الحال وهي العلم بعصمته تبين ذلك ومن ذلك قول الشاعر

* على لا يحب لا يهتدى بتارم *

ومراده لا منار له فيهتدى به . . . ومن ذلك قوله تعالى لا عاصم اليوم من أمر الله نفي العاصم فالتى انعمت وجوباً وهو المراد وقد سمي هذا النوع عكس الظاهر وليست تسمية حسنة بل هو مراد الظاهر عليه . . . وإنما ياتحق بهذا قوله تعالى ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكدرها جاء النفي هنا بمقاربة الرؤية وهو الاصل في جميع الكلام لكن العرف في كاد أن اثباتها يدل على مقارنة الرؤية فلا رؤية ونقيها خصه العرف بمقاربة عدم الرؤية وهو الظاهر . والأمر في الآية على الأصل وليس على الظاهر . . . ومثل ذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه العرف في لودلالة الامتناع الامتناع ومدح النبي عليه الصلوة والسلام له قرينة تدل على عدم عصيانه فيكون لو التلازم فقط ويكون المعنى لو لم يخف الله لم يعصه فكيف وقد خافه . ومثال الثاني وهو نفي الشئ بإثبات غيره قول الشاعر

أبلغ الحارث بن ظالم الماو عذو المنذر النور علياً

* إنما تقتل النيام *

والمراد به انك لا تقتل غير النيام للعصر في إنما ثم وكده بنام البيت وهو قوله

* ولا تقتل يقظان ذا سلاح كياً *

وفي قوله - لا تقتل - نفي يدل على أنه يقظان ذو سلاح كى هذا مثال الجواز وأما الواجب من ذلك فإن ثبت أحد النقيضين فينتفى الثاني ومساويه أو ثبت أحد الاضداد فينتفى ما عدا كقولك في اثبات أحد النقيضين - الفلك متحرك - فالتنفي النقيض وهو لا متحرك ومساويه وهو الساكن . وفي اثبات أحد الاضداد - الدم أحمر - فينتفى عنه جميع الألوان . ومنه قوله تعالى - قل هو الله أحد - انتفى بإثبات الأحدية لا أحدية والتنى مساوى لا أحدية وهو الكثرة . ومن اثبات أحد الاضداد قوله

(٧ - أقصى)

تعالى - فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان - ومثال الثالث وهو أثبات الشيء
بأثبات غيره قولك - الشمس طالعة فالنهار موجود - الأول ملزوم والثاني لازم
فيجوز أن يكون أمراً منغياً فيكون مثل ذلك قولك - الشمس طالعة فالليل غير موجود -
ولذلك انحصرت القسمة في الأقسام الأربعة المذكورة ومثال الرابع وهو أثبات الشيء
بشيء غيره قولك - الشمس ليست طالعة فالليل موجود أو فالنهار غير موجود - وهو
كالثالث في الملازمة وهذا مبين في ذكر الشرط والجزاء واللازم والملزوم .

ومما استعملته العرب تلمذة للبيان وتارة للضرورة نذكر المؤنث وتأنيث المذكر حملاً
على المعنى . فن ذلك أثبات ناء التأنيث وحذفها إذا كان الفاعل مؤنثاً غير حقيقي كقولهم
طلع الشمس وطلعت الشمس لأن الأصل التذكير والتأنيث اصطلاحى فإذا قصد أحد
المعنيين لغرض من الأغراض استعملت اللغة التي تناسبه

أما أثبات الناء فأثبتناها كثيرة لأنها المصطلح عليه ومنها قوله تعالى - وجاءت
سيارة - وأما حذفها فكقوله تعالى - فن جاءه موعظة - وفي مثل هذا يقال لم
نحذف الناء فبجواب أنها حذفت إرادة للوعظ الذي هو اسم الجنس لاستعماله على القليل
والكثير رفعاً لتوهم من يتوهم أن قوله له ما سأل إن اتعظ بالقليل وليس لمن اتعظ
بالكثير . ومنه قول كعب بن زهير

• وقد تلفع بالقور العساquil •

لأن الجمع يؤنث ويذكر فن ذكر نوى الجمع ومن أنت نوى الجماعة واتخاذ كرها هنا
لاقامة الوزن وليظهر المعنى الذي ألقى إليه من القلب لأن التلفع للقور وقد نسب إلى
العساquil والعساquil جمع مذكر والقور جمع مؤنث فذكر تنبيهاً على ذلك . ومن
ذلك الإشارة بالمذكر إلى المؤنث كقوله تعالى - فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى -
قوله - بازغة - تأنيث للشمس كلام الله تعالى جار على أصل اللغة وقوله - هذا ربى -
حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام وهو يخبر عن الرب الذي شأنه أن يعظم فلا يليق
به التأنيث . ومن ذلك قول مدرك بن حصن الأسدي

فان وصاتك كما ليلي فاني أرى في الحق أن نعل الوصولا

وانت آنتما بخلاً فلنا بأول من رجاً حراً بجحلاً

- انوصول - وصف يشترك فيه الموءنت والمذكر وقد عبر به هنا عن الموءنت وليس من هذا الباب وقوله - حرجاً بجحلاً - عبر عن الموءنت بالتذكير حملاً لذلك على العموم وأما تأييد المذكر فكقوله تعالى - من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها - وحين ذلك لما كانت الامثال حسناً حملاً على المعنى كأنه قال عشر حسنات وترجع هنا الحمل على المعنى على الحمل على اللفظ لان مثل الحسنة قد لا يكون حسنة لأن المائلة قد تكون في وصف ما غير ذلك . وقد يقال هذه البيئة مثل الحسنة لانه انفق لها بالمرض ان خلعت مما هو أعظم منها من البيئات فأنت جامعاً بين الامثال والحسنات ليظهر أن المائلة في الجنس . ومنه قول عمر بن أبي ربيعة

وكان مَجِيئِي دُونَ مَنْ كُنْتُ أَتَقَى ثَلَاثُ شُخُوصٍ كَأَعْيَانٍ وَمُعْصِرُ

أنت العدد والمعدود هو الاشخاص وواحدها مذكر لتصريحه بأنوثتها حين قال - كأعيان ومعصر - وقد جاء عن العرب

قالت له وهو بعثرس ضحكاً إن تُكثري عذلي أخل عنيك

قد يتوهم أنه من هذا الباب وليس منه وانما معنى البيت إن حكيت كلامه حين عذته على اضاءة ماله في حال يساره فكان قوله لها حينئذ . ان تكثري عذلي أخل عنيك . فلما افتر حكيت قوله تهكماً به وتذكيراً له بمخالفتها وتنديماً له على ذلك . وقلماعثر على معنى هذا البيت مع أنه لا معنى له غيره

ومن البيان الاتيان بضمير الواحد في موضع ضمير الجماعة والاتيان بضمير الجماعة في موضع ضمير الواحد لغرض وهذا كثير الوقوع بعد الاسماء المبهمة التي الفاظها مفردة ومعانيها تحفل بالجمع والافراد - كمن . وما - وقد تقدم ذكرهما - وكل - يقع بعدها كثيراً المفرد والجمع ظاهراً ومضراً كقولك - كلهم كريم . وكلهم كرام . وكل القوم أحبه . وكل القوم أحبهم - وذلك لان كلاً يقتضى الجمع من حيث هو جمع وتقتضيه واحداً واحداً . والالف واللام للجنس بفرد معها اسم الجنس ويجمع كقولك - الرجل خير من المرأة . والرجال خير من النساء - وذلك لان الالف واللام تدل

على الجنس من حيث جلته ومن حيث افراده ككل ومن حيث طبيعته أيضاً فان الطبيعة واحدة ومهما جاء من ذلك وفي الكلام ما يقتضى جمعه وإفراده فأتى بأحدهما ارادة لما يقتضيه كان بيانا . وأما ما جاء من ذلك وليس في الكلام ما يقتضيه فليس من البيان وهو مما ينبغي أن يجنب ويجنبه إما أن يكون لضرورة أو شاذاً . وأما قول ذى الرمة ومية أجمل الثقلين وجهاً وسالفة وأحسنه قدألا

فان لفظ الثقلين يشتمل على افراد كثيرة ومراده التفضيل على كل فرد فرد ولو قال أحسنهم لاحتمل أن يريد حسنهم ولا تكون حينئذ افعال التفضيل ولا يجب تفضيلها على فرد فرد فأفرد الضمير لدفع هذا الاحتمال . وأما قول الشاعر

فقلنا بالسمعوا إنا أخوكم فقد برئت من الإحن الصدور

فانه يريد أن جلستا أخ لجلستكم لا أن كلنا اخوة بالنسبة لأفرادنا . ومنه قوله تعالى - إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم - ولم يقل بين أخوتكم وهذا تحريك للصدق لانه لو قال إخوتكم لاحتمل أن يكون في الفئة من ليس بمؤمن فلا يكون أختا المؤمنين والفئة لغلبة المؤمنين فيها أخت للفئة الأخرى وقاما يكون أفراد الفئة كلها متصفة بوصف واحد . وأما قول الشاعر

* ترى جواربها بالشحم مفتوقا *

فهو عندي من استعمال الشاذ للضرورة . وقد يقال ان مفتوقا حال من الشحم فلا بيان حينئذ . وأما قول الفائل - شابت مفارقة - من اطلاق الجماعة على الواحد فهو من المعاني اللطيفة التي هي من أحسن معاني البيان فانه لو قال شابت مفارقة لاحتمل أن يكون الشيب شعرة واحدة فقوله - مفارقة - أفاد أن الشيب في مواضع كثيرة من المفرق فاطلق على كل واحد منها مفارقة على سبيل المجاز ثم جمعها . ومثل ذلك قول الشاعر

وبما شجاني أنها يوم ودعت تولت وماء العين في الجفن حائر

فلما أعادت من بعيد بنظرة إلى التفات أسمعته الحاجر

- والحجر - مشق الجفنين وهو واحد وهو في العينين انسان فقد أطلق لفظ الجمع

على المفرد أو المثنى وكلاهما بالنسبة الى المجاز واحد وقوله - ماء العين - يريد ماء
عينها لا ماء عينه فان ماء عينه لا يشعوه تحيره في جفنه ولا يلزم من ذلك انه لم يبك
ولا انه بكى

ومن البيان تقديم ما من شأنه أن يؤخر وتأخير ما من شأنه أن يقدم ومعظم
هذا من أبواب النحو . ومن ذلك ما يلزم وما يجوز فأما ما يلزم فلا مدخل له في
البيان اذ لا يمكن غيره وما يجوز فلا يقدم عليه دون غيره الا لغرض من أغراض البيان
وان جاء شيء منه لغرض غرض كان قبيحاً ولا يقع الا شاذاً . فمن ذلك تقديم المفعول
تارة على الفاعل وتارة على الفعل والفاعل والفعل تارة يكون ماضياً وتارة يكون مضارعاً
وتارة يكون أمراً . وأمثلة ذلك - ضرب عمرأ زيد . وعمرأ ضرب زيد . ويضرب
عمرأ زيد . وعمرأ يضرب زيد . وعمرأ أضرب - وفاعل اضرب متصل به فلا يحول
بينهما المفعول فيلزم مع الامر اذا قدم المفعول أن يتقدمهما معاً الاول . كقوله تعالى -
وأخذ الذين ظلموا الصبيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين - قدم المفعول هاهنا
للاهتمام بمجرد العذاب الواقع بالمتذنبين لا الصبيحة فان العذاب يقع بالصبيحة وبغيرها ولا
يلزم العذاب بالصبيحة . الثاني كقوله تعالى - فكلاً أخذنا بذنبه - وقدم هاهنا المفعول
لمثل ما تقدم في الاول فان المفعول هاهنا أهم من الفعل لذكره متنوعاً والأخذ عبارة
عن واحد واحد من تلك الانواع . الثالث كقوله تعالى - ولو ترى اذ يتوفى الذين
كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق - وقدم هاهنا
لأن الذي الاهتمام بالاجزاء عنه والمعظم وقوع التوفى بهم لا وقوعه من الملائكة .
الرابع كقوله تعالى - إياك نعبد وإياك نستعين - وقدم هاهنا تعظيماً للعبود
دور العبادة واشعاراً بمحصر العبادة منهم له ولو قال نعبدك ونستعينك لم يقد
ذلك . الخامس كقوله تعالى - بل الله قاعبد وكن من الشاكرين - وقدم ههنا لما
ذكر في الرابع

ومن التقديم تقديم الخبر على المبتدأ ويكون ذلك عند الاهتمام به ويبقى المبتدأ
مرفوعاً على الابتداء في أظهر المذاهب فان اعتقد الخبر فنه من قال يجعل الخبر مستداً

والمبتدأ خبراً عنه فيكون قوله أقام زيد بمعنى أقم زيد وهذا أيضاً في مذهب الكوفيين وإذا لم يعتمد في قولنا أقام زيد يكون زيد فاعلاً عند الكوفيين وهو مبتدأ عند البصريين ولولا هذا القول لقلنا ان المبتدأ متى أخر صار خبراً أو فاعلاً كما ان الفاعل اذا قدم صار مبتدأ لان الفاعل والمبتدأ كل واحد منهما هو الخبر عنه فيقدم الفعل على الفاعل لان الاهتمام به شديد لانك اذا قلت قام كان اهتمامك بقيام الشخص المخصوص فيكون الفاعل كالصفة له فلا يجوز تقديمه بخلاف المبتدأ فانه لا يلزم فيه مثل ذلك اذا تأخر ويتقدم خبر كان على اسمها وهو المبتدأ اجماعاً لتشبيههما بالفاعل والمفعول وكذلك خبر إن اذا كان ظرفاً ويقدم الظرف على عامله ويؤخر للاهتمام به أو بعامله كما اذا قيل هل سافر يوم الجمعة أحد والاهتمام بيوم الجمعة فيقال يوم الجمعة سافر زيد ولو قيل متى سافر زيد كان الاهتمام بسفر زيد فيقال سافر زيد يوم الجمعة وتقديم الحال على صاحبها كتقديم خبر المبتدأ عليه لان صاحب الحال بمنزلة المبتدأ والحال بمنزلة الخبر والصفة لا تقدم لانها من تمة الموصوف فان قدمت انتصبت على الحال فيحسن حينئذ أن يكون صاحبها نكرة لشبهه بالفاعل ولا يتقدم شيء من التوابع غير الصفة بتأويل ولا بغير تأويل الا المعطوف بالواو لكون الواو للتشريك فقط وفيه ان الواو للمعطف فاذا تقدمت على المعطوف عليه حصل الابس وقد جاء في الشعر في قوله

• عليك ورحمة الله السلام • وفي قول الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب

وليلة ذى نصبٍ بها على ظهر نؤامة ناحلة
وبنى الى أن رأيت الصبا ح ومن بينها الرجل والراحلة

الاظهر انه قدم المعطوف على المعطوف عليه فيكون معنى قوله ومن بينها وبينى ويجوز أن يحمل على زيادة من فيكون التقدير وبينى وبينها وليس عندي بحسن • • وأمثلة ذلك منها تقديم الخبر كقوله تعالى - فيه هدى للمتقين - اذا كان الوقف على لارب • • ومنها تقديم الظرف على عامله كقوله تعالى - ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مودعة - ومنها تقديم خبر كان على اسمها كقوله تعالى - وكان حقاً علينا نصر المؤمنين وجه الاهتمام به الالتزام به امتناناً على المؤمنين وتأميناً لهموشجيعاً • ومنه قول الشاعر

إذا خَبِتْ أوقدت بالبدنِ فَاشْتَعَلَتْ ولم يكنْ طَبِيبًا قِسْطٌ وأُظْفَارُ
وحسن تنكير اسمها لذلك وتقديم خبر كان على كان واسمها معاً كقول الشاعر
فليت كَغَافًا كانَ خَيْرُكَ كُلَّهُ وشرك عني ما رتوى الماء مَرْتَوَى
وقدم الخبر هنا لان الاهتمام بأن يكنى الشرمع ان يحرم الخبر وذلك أدل دليل على طلبه
الكفاف .. ومنها تقديم خبر ان على اسمها ولا يجوز الا اذا كان ظرفاً أو جاراً
ومحروراً ولا يجوز تقديمه ولا تقديم الاسم عليها البتة وذلك كقوله تعالى - إن لدينا
أنكالا وجحيا - وكقوله تعالى - ان الينا اياتهم - والتقديم فيهما للاهتمام المذكور لما
فيه من تعظيم الشكال والاياب اذا كانا لديه واليه .. ومنها تقديم الحال على صاحبها
كقوله تعالى يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون خاشعة
أبصارهم وخاشعة سواء تقدم على أبصارهم أو تأخر لا يكون الا حالاً لانه نكرة
وأبصارهم معرفة وليس كقول الشاعر

* لَمِنَ مَوْحِشًا طَلُّ *

لانهما نكرتان فلو تأخر مَوْحِشًا كان صفة لطلل وتقديم خاشعة لتعظيم خشوع
الأبصار وتقديم مَوْحِشًا لذلك ولاقامة الوزن أيضاً ويجوز تقديم الحال على عاملها
اذا كان قوياً أى فعلاً أو حروف فعل كقولك - راكباً جاء زيد - ولا يجوز تقديمه
على عامله الضعيف وهو الذى ليس فيه حروف الفعل فيقال - فى الدار جالسا زيد -
ولا يقال - جالسا فى الدار زيد - وأما تقديم الحال على عاملها كقوله تعالى - كيف
تكفرون بالله - قدم لتضمنه معنى الاستفهام إذ له صدر الكلام ولانه لو أجرى الاستفهام
على تكفرون لوجب أن تأتى الحال مرده ولا نعم عموم كيف .. ومن التقديم تقديم
المستثنى على المستثنى منه كقول الشاعر

* وما لى إلا آل أحمد شيعه *

وتقديم المستثنى على عامله وهو كقولك - إلا زيداً جاء القوم - وهذا لا يجوز إلا عند
بعض الكوفيين ولا أعلم بل الظاهر انه لم يوجد له فى كلام العرب نظير .. ومن
التقديم والتأخير ما جاء مفسود الترتيب لأجل الوزن أو لفرض غير ذلك وذلك مما

يستتبع وليس ببيان . . . وأمثله كثيرة ومن أبشعه قول الشاعر

عقّ أب الوكر عن صيد الجبارى الى زيداً أخاك فربخ تسر

تقديم - عق زيداً أخاك عن صيد الجبارى أب الى الوكر فربخ تسر - وفي هذا البيت زيادة عن التقلب انه نقل حركة همزة أب الى القاف قبلها وحذفها تخفيفاً وحذف أيضاً فقد قبل أب وهي مرادة . . . ومن التقديم تقديم المستفهم عن حاله فعلاً كان أو غير فعل على الحال أو تقديم الحال عليه وأيهما قدم كان هو المستفهم عنه فإذا قلت أزيد قام كان القيام معلوماً والشك في فاعله هل هو زيد أو غيره وإذا قلت أقام زيد كان الشك في الفعل وحينئذ قد يكون الشك في الفعل المضاف الى الفاعل المذكور فيكون حينئذ الشك في الجملة ولا يقع في الاستفهام العارى عن الانكار والتقرير الذى هو على سبيل الاستعلام فقط الا على هذه الصورة ولا فرق في ذلك بين الماضى والحال والمستقبل ومثاله قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال ما خطبك - فانه سألها عن خطبها لانه لهما أو انبرها وهو أمر عام لماضى أمرها وحالها ومستقبلها . . . ومثاله تقديم صاحب الحال قوله تعالى حكاية عن فرعون - قال من ربكما يا موسى - كان فرعون يعلم ان موسى عليه السلام بعبد رباً من حيث انه يدعو الى عبادته فسأله عن الرب المعبود ولا يقدح في ذلك كون فرعون كان متجاهلاً فان المعنى على أن يكون السؤال على سبيل الجهل من جاهل أو عالم

واذا كان الاستفهام على سبيل التقرير فالذى قصد التقرير عليه هو الذى يقدم سواء كان ماضياً أو حالاً أو مستقبلاً ولا بد أن يكون الماضى والحال واقعين والمستقبل فى حكم الواقع كقوله تعالى حكاية عن قول قوم نمرود - أنت فعلت هذا بالهنا يا ابراهيم - فانه كان سؤالهم عن الفاعل فقدموه لأن الفعل كان واقعاً محسوساً وكان الجزم أو الرجوع انه الفاعل فكان سؤالهم له على سبيل التقرير لا على سبيل الاستعلام . . . وإذا كان التقرير لصاحب الحال فلا بد أن تكون حاله واقعة فلا يكون الا فى الماضى أو فى الحال . . . وأما المستقبل فقد يرجع وقوعه أو ايقاع فاعل ما له فان ترجع ايقاع الفاعل له قدم صاحب الحال وان ترجع وقوع المستقبل لا ايقاعه من المعين قدم لأنه المقرر

عليه كقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام لاختوته - قال اثنتونى بأخ لكم من
أبيكم ألا ترؤن أنى أوفى الكيل وأنا خير الميزين - وإذا كان الاستفهام على شئيل
الانكار فإن كان المنكر الفاعل قدمه وإن كان الفعل قدمه وقد يكون الانكار لأن
الفاعل أقول من أن يصل إلى هذا الفعل أو أجل من أن يفعله • وقد يكون أيضاً
الفعل أقول من أن يفعله هذا الفاعل المعين أو أجل من أن يفعله ويكون الفعل في كل
واحدة من هذه الأحوال ماضياً وحالاً ومستقبلاً • أمثلة ذلك قوله تعالى عن الماضى
- قل آفة أذن لكم - قد قدم فيه صاحب الحال لأنه المنكر أن يصح منه هذا الفعل
لعظم الفاعل • وقوله تعالى - أنت قلت للناس اتخذونى وأمى آلهم من دون الله -
أيضاً الفعل ماض وهو ممن لا ينبغي له هذا الفعل لعظم الفاعل وبما الحال فيه حاضرة
قوله تعالى - قل أذلك خير أم جنة الخلد التى وعد المتقون - هذه الحال حاضرة جزئياً
وإن لم تكن بالفعل المضارع وقد أكر عليهم فى هذا المثال جعل المشار إليه بذلك خبراً
من الجنة وهو يمتل عن ذلك وجعل الجنة دونه ومعى أعظم من ذلك فى المثال الواحد
الأميران • وبما الحال فيه مستقبلة قوله تعالى - أظفكم الجاهلية يبعون - أنكر أن
حكم الجاهلية بما ينبغي لحقارته وقوله تعالى - أليس الله بعزير ذى انتقام - أنكر عليهم
سبب العزة والانتقام وهو منكر فى جميع الأحوال الماضى والحاضر والمستقبل وأنكره
ذلك لعظم الله • • • • • ومما قدم فيه الفعل الماضى قوله تعالى حكاية عن قول موسى عليه السلام
للخضر عليه السلام - أقتلت نفساً زكية بغير نفس - تعظيماً للفعل لما يترتب عليه من
العقاب وبما جاء من ذلك وقد حقر فيه الفعل عن بلوغ تلك الدرجة قوله تعالى حكاية
عن قول فرعون قال - أجننتما لتخرجا من أرضنا يسحرنا يا موسى - فانه صغر بحى
موسى عليه السلام عن أن يبلغ الخراجهم من أرضهم • • • • • وبما جاء والحال فيه حاضرة
مقدمة معظمة قوله تعالى - أنقولون على الله ما لا تعلمون - وبما جاء والحال فيه حاضرة
مقدمة محقرة قوله تعالى - أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير - وبما جاء والحال
فيه مستقبلة مقدمة معظمة قوله تعالى حكاية عن المؤمن - أنقولون رجلاً أن يقول ربى الله
- وبما جاء والحال فيه مستقبلة مقدمة محقرة قوله تعالى أنزل مكيوها وأنهم لها كارهون -

ومن أدوات الاستفهام - ما - وقد جاءت تعظيماً للمستفهم عنه في قوله تعالى - الحاقة
ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة - وفي غير موضع وقد عبروا عن مثل هذا المعنى بالتحجب فإن
ما يتعجب منه يستفهم عن سببه ووجوده وهذا المعنى ليس استفهاماً محضاً ولا على سبيل
الإنكار والتوبيخ ولا على سبيل التقرير فهو معنى غير ما ذكر من المعاني . . ولقائل أن
يقول أن ما هنا ليست استفهامية وإنما هي نكرة غير موصوفة كما في قولك ما أحسن زيدا
وحجى بها في غاية التكبر والابهام ليُعظم أمر خبرها عند السامع

ومن البيان الاعتراض وهو الفصل بكلمة أو أكثر مفيداً لمعنى يحسن السكوت
عليه أولاً بين ما من شأنه الاتصال في الكلام وهذا منه ما يجوز ومنه ما لا يجوز ولينسلم
ذلك من علم النحو وما يجوز من ذلك منه ما يحسن ومنه ما يقيح ومنه ما لا حسن فيه
ولا قبح . . فالذي يحسن من ذلك ما يكون تأكيداً لمعنى الكلام أو تنبيهاً على معنى زائد
يحسن الكلام به ويباغ من سامعه المبالغ الذي لا يبلغه الكلام بدونه . . فن ذلك قوله
تعالى - فلا أقسم بمواقع النجوم - وأنه لقسم لو تعلمون عظيم أنه لقرآن كريم - اعترض بين
القسم وجوابه بقوله وأنه لقسم لو تعلمون عظيم واعترض بين القسم وصفته بقوله لو
تعلمون تعظيماً للمقسم به وتحقيقاً لعظمه بكلمة إن ثم فصل بين الصفة والموصوف بقوله
لو تعلمون اعلماً لهم بأن لهذا المقسم به عظمة لا يعلمونها وأن جل ما يعلمون من عظمته
وهذا مما يتبادر إلى الأذهان اعجازهم ويعظم عندنا بحاله . . ومن الاعتراض بين المعطوف
والمعطوف عليه قوله تعالى - وقيل يا أرض ابلعي ماءك وابلغي أهلك وغبض الماء وقضى
الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين - في هذا الكلام ست جل
السادسة معطوفة على الأولى والثانية واعترض بينهما بثلاث جل وهي من قوله وغبض
الماء إلى قوله على الجودي والثالثة معطوفة على الأولى واعترض بينهما بقوله وقضى
الأمر وإنما قلنا أن الثلاثة المتوسطة معترضة لمناسبة عطف قبل على قبل وإنما قلنا أيضاً
أن الثانية منها معترضة بين الأولى والثالثة لأن الماء إذا غبض استوت السفينة على الأرض
وليس بينهما ما يفرض فصلاً فكان قوله تعالى وقضى الأمر بياناً لقام إجابة دعوة نوح
عليه السلام والاعتراض الثاني هو آخر الأمر لأن الجملة السادسة في سياق الأولى والثانية

والخامة في سياق الثالثة والرابعة آخر كل ذلك لان انقضاء الأمر يكون بعد تمامه والاعتراض بقوله تعالى ونغضب الى قوله الجودى بيان لان هذا الأمر واقع بين القولين لا محالة ولو أتى به بعدها لكان الطاهر تأخره فتوسطه ظهر كونه غير متأخر .. ومثل الآية الأولى قول النابغة

لَعَنَرِي وَمَا عُمِرِي عَلَىٰ بَهَيْنٍ لَفَدَ نَطَقَتْ بَطْلًا عَلَى الْأَقَارِعِ

ومن بديع الاعتراض قول الشاعر عوف بن محم لعبد الله بن طاهر
إِنَّ الْفَتَايَيْنِ وَبَيْنَهُمَا قَدْ أُحْجِجْتَ نَسَمِي إِلَىٰ تَرْجَانٍ
ومثل هذا قد سمي حشواً لان قوله وبلغتها اعترض بها بين اسم ان وخبرها ولا علاقة بينهما وبينهما الا انها دعاء للممدوح فقط . ومنه قول المتلمس
أَلْقِ الصَّحِيفَةَ يَا طَرِيفُ إِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكَ مِنَ الْحَبَاءِ النَّقْرَسُ

اعترض بقوله - أخشى عليك من الحباء - بين اسم ان وخبرها وهو النقرس ومحل أخشى بنى أن يكون بعد النقرس وقدمه لانه ما أمره بالقاء الصحيفة إلا لخشيته ثم وكده خشيته بقوله اننى النقرس وهو الداهية الذى لا يكاد ظنه يخطئ .. وأما الاعتراض الذى هو قبيح وليس من البيان فى شئ وإنما ذكر فى البيان ليجنب وأكثر وقوعه لاقامة الوزن للشعر وان جاء منه ما ليس لاقامة الوزن فيكون لسوء خيال المؤلف ونقص فهمه فيقبح هذا النوع على مؤلفه ومنه قول الشاعر

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

اعترض بين الفعل ومعموله وهو - نظرت الى الدار - واعترض بين كان واسمها وبين خبرها بقوله الى الدار واو كان الكلام نظرت الى الدار كأننى أنظر من وراء زجاجه لكن النظم المقتضود والأبين وإنما اضطره الى التقديم والتأخير الحاجة الى الوزن مع ان ديباجته فى غاية الحسن مع التشبيه البديع . ومنه قول المتنبي

جَفَخْتُ وَهُمْ لَا يَجْفَخُونَ بِهِمْ رَشِيمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَعْمَرِ دَلَائِلُ

اعترض بين جفخت وبهم وهما عامل ومعمول بقوله وهم لا يجفخون بها مع ان وهم

لا يجمعون بها حجة مطوقة على الجملة الأولى ولا يظهر معانيها إلا مع كونها في موضعها
وعطفها على جملة وهو مفرد مما لا معنى له غير إقامة الوزن . وأما الاعتراض الذي
لا حسن فيه ولا قبح كقول زهير

سَمْتُ تَكْلِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَالِكَ يَسَاءَ

فقوله لا أبالك اعتراض وهذا القسم مذکور في كتب البيان فلم أهمه اتباعاً لما قبله غير
أنه عندي مما يقل حسنه أو يقل قبحه ولا بد من حسن مما أو قبح مما فإن قول زهير
لا أبالك إما أن يخاطب به نفسه أو غيره فإن كان الخطاب لنفسه فهو تأكيد للخبر لانه
يخاطب نفسه لمحنته بالحياة مع عامه بالتمب وهو حسن وإن كان الخطاب لغيره فهو مما
لا حاجة له اليه وقد أساء أدبه على مخاطبه فلا يخلو حينئذ من قبح

ومن البيان الإيجاز وهو الاختصار من اللفظ الدال على المعنى على ما هو أقل من
الجاري في مخاطبات الناس غالباً وهو ضد الأسهاب الذي هو زائد عن الجارى في
مخاطبات الناس غالباً وغاية الإيجاز أن يكون اللفظ بحيث لو سقط منه شيء لم يكن الباقي
دالا على ذلك المعنى ولو لم يكن كذلك لم يحسن أن يقال في لفظه أنه وجيز وفي غيره
أنه أوجز منه وهذا مما لا يشكره أحد . . . وما يدل على أن واضح الكلام يؤثر الإيجاز في
بعض الكلام على التطويل وضع الألفاظ العامة التي يدل واحد على الكثير كاسم
الجنس وكالأسماء الموضوعات الاستفهام والتشريط كمن . وما . وكم . ومهما . وكالظماير
التي يدل الحرف منها على الاسم المطول والموصوف بأوصاف كثيرة كقولك ثقيت
أبا بكر عثمان الذي من شأنه كذا وكذا وطولات في صفة أحواله ما طولت ثم تقول
وسلمت عليه أو قلت له كذا وكذا أغت الهاء وهي حرف واحد عن إعادة جميع
ما سبق . . . وينبغي أن يكون الإيجاز في كل موضع بحسبه كاندى جرت به العادة في الأشعار
وكتب الرسائل التي من بعدت على فهمه وبلاغته بخلاف الخطاب فإن المراد بها الموعظة
وإيصال المعاني إلى الجمل الفقير من الناس وفي التقليدات إرادة التفتيح المقاد وإشهاره ولا
يرد علينا أن يقال فتتכן الخطاب بالألفاظ المبذلة والعامية لدربة العامة بها لأن البيان
الذي نحن بصدده إنما هو في كلام العرب ومن جرى على سندهم في كلامهم

والوجيز من الكلام منه ما يكون مساوياً للمعنى وبسمى التقدير ومنه ما ينقص عن
المعنى ومنه ما يزيد على المعنى وهذا لا يكون في غاية الإيجاز لكنه وجيز بالنسبة إلى ما هو
أطول منه مثال المساوى للمعنى قوله تعالى - الرحمن غم القرآن خلق الإنسان علمه البيان -
والذى ينقص لفظه عن معناه وبسمى القصر وهو أنواع منه ما لا يقام فيه عوض المحذوف
غيره ومنه ما يقام فيه عوض المحذوف غيره مثال الأول قوله تعالى - وقال الذى نجا منها
واذكر بعد أمة أنا أنبئكم بنأويله فارسلون يوسف أيها الصديق أفتنا فى سبع بقرات
سمان يا كلهن سبع مخاف وسبع سبلات تخضر وأخر بابسات - قوله يوسف أيها الصديق
يستلزم قبله فارسلوه فشاء يوسف فقال له ولما كانت هذه الجمل معلومة بالضرورة وقصة
يوسف عليه السلام طويلة حذفت منها هذه الجمل المعلومة بالضرورة تخفيفاً وكان حذفها
أحسن من الإتيان بها لأن سماعها يشغل عن تأمل ما فى القصة مما يحتاج إلى تأمله
وهو كثير * * * ومن الحذف حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه فى الأعراب كقوله
تعالى - وأسأل القرية - ومعناه وأسأل أهل القرية وهو معلوم بالضرورة لأن القرية نفسها
لا تحجب فتسأل ويجوز أن يقال فى هذا أنه من باب المجاز وإطلاق لفظ القرية على جماعة
أهلها ووجه المجاز الاشتراك بين القرية وأهل القرية فى صورة الاجتماع وقد حذف
المضاف وأبقى المضاف إليه على جره * * * ومنه قول الشاعر

أكل امرئ تحبين امرأً ونار توقد فى الليل نارا

ومثله سيمويه بقوله - ما مثل أخيك ولا عبد الله يقولان ذلك - وقد يحذف مضافات
بعضها إلى بعض كقوله تعالى - فقبضت قبضة من أثر الرسول - معناه من تراب أثر
حافر قبر الرسول * * * وقد يحذف المضاف إليه كقوله تعالى - لله الأمر من قبل ومن
بعد - أى من قبل الأشياء ومن بعدها * * * ومنه حذف حرف الجر ونصب المجرور
أو إبقاءه على جره نحو - دخلت الدار - وقوله فى جواب - كيف أصبحت خيراً عافاك
الله - ومن ذلك قوله تعالى - ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها - والمجرور
يرب محذوفة فى الضرورة على رأى وهو كثير جداً ولم أقف على ذلك إلا فى السعة *
ومنه قول امرئ القيس

وليد يُمَوِّجُ الْبَحْرَ مُرْخٌ مُدْوِلُهُ عَلَى بَأْنَوعِ الْهَيُومِ لِيَتَشَلَّى

•• وقوله

فَنَلَّكَ مُجِبَلِي قَدْ طَرَقَتْ وَ مُرْضِعِ قَالَتْ بِهَا عَنْ ذِي تَمَامٍ مَحْوَلِ

في رواية • ومن ذلك حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه كقوله تعالى - ألمَ ذَلِكَ
الْكِتَابُ لَارِيبَ فِيهِ مُهْدَى الْمُتَّقِينَ - أى القوم بالمتقين والاهتمام بهذه الصفة وشيوعها
أغنى عن ذكر الموصوف هنا فلو ذكر في مثل هذا الموضع لكان كالفصلة التي لا حاجة
إليها وقليلاً تحذف الصفة لأنها لتمييز الموصوف عن غيره أو مدحه أو ذمه وهذا من باب
الاسهاب فلا يحسن فيه الإيجاز •• وربما حذفت لظهور دلالة الكلام عليها ومنه قول
النبي صلى الله عليه وسلم - لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد - أى لاصلاة كاملة ومنه المثل
وهو قول عمرو بن أخت جذيمة الأبرش - خير ما جاءت به العصا - ومنه قول الناس فلان
رجل يريدون وصفه بالعظم فى الأمور اللاتفة بالرجال وكذلك قولهم هو انسان ومن
الصفات ما لا يجوز حذف موصوفها كالجملة تقول - مررت برجل قام أبوم - ولا تقول مررت
بقام أبوم •• ومن الصفات ما لا يحذف موصوفها الا لظهور دلالة الكلام عليه ومنه قوله
تعالى - ومنّا الصّالحون ومنّا دون ذلك - فان دون ذلك صفة لقوم وقد حذف لظهور
دلالة الصّالحون عليه والصّالحون صفة لمحذوف غلب حذفه لقيامه مقام الاسم •• ومن ذلك
حذف الفاعل واقامة المفعول مقامه كقوله تعالى - ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه
سلطاناً فلا يسرف فى القتل انه كان منصوراً - اختصاراً وتخفيفاً اذ لو ذكر لم يزد قائدة
وقد يحذف الفاعل لتعظيمه أو لاحتقاره أو لسهو أو للجهل وأمثلة ذلك قوله تعالى - وما
ضرب ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون - حذف الفاعل تعظيماً وقوله تعالى - وقيل
للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا ننبح السحرة ان كانوا هم الغالبين - وحذف الفاعل هنا
لاحتقاره وقوله تعالى - فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين - فاعل
قطع مجهول عند الذين ظلموا ومعلوم عند الله فهو مستور عن الذين ظلموا ولو كان الخبر
منهم لكان مجهولاً عنه فيتعذر عليه الاتيان به ومن ذلك حذف المبتدا وحذف الخبر
محذوف المبتدا كقوله تعالى - يقولون ثلاثاً ربهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم

رجاءً بالغيث ويقولون سبعة وثلاثون منهم كلهم - معناه هم ثلاثة وهم خمسة وهم سبعة وحذف ذلك تخفيفاً لأن الأتيان به لا يزيد معنى وحذف الخبر واجب بعد لولا إذا كان معنياً في كائن أو موجود كقوله تعالى - لولا أنتم لسكننا مؤمنين - ويحذف على سبيل الوجوب كقوله تعالى - أئمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه قيل للقياسية قلوبهم من ذكر الله - الخبر كمن لم يشرح صدره ولا نور له من ربه ودل عليه قوله تعالى قويل للقياسية قلوبهم من ذكر الله وحذفه تعظيم وتخويف لمن هذه حاله ومن ذلك حذف الفعل وحذف المفعول فأما حذف الفعل كقوله تعالى - وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً - إحساناً منصوب بفعل محذوف يحسن أن يكون والله أعلم ووصاكم * ومثله قول الشاعر

نعدون عقر النيب أكبر مجدكم
بني ضوطراً لولا الكمي المقنعا

وبحوز أن يكون قوله تعالى إحساناً مقاما مقام أحسنوا وقد حذف كقولهم سقياً ورعيماً وحذف الفعل ليتصل ذكر الوالدين بذكرهم تعالى تعظيماً لأمرها وإشعاراً بدخول الاحسان اليهم في حكم القضاء بعبادته * ومن حذف الفعل وإقامة المصدر مقامه قوله تعالى - فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب - وإقامة المصدر في مثل هذا يؤكد له وإهتمام بأمره إذ التصريح به استغناء عن الفعل دل على الإهتمام به من كونه مفهوماً من الفعل * * ومن حذف الفعل حذف الفعل المأمور به ومنه قوله تعالى وقال أركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها - حذف فركبوا وهو بما حذف لأنه مفهوم - وأما حذف المفعول منه ما يحذف للعلم به اختصاراً للكلام كقوله تعالى - ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان - حذف المواشي بعد يسقون وتذودان للعلم بها وحسن الاختصار هنا لا يخفى على من له أدنى ذوق * * ومنه ما يحذف لأن الإهتمام بالفعل لا به تعظيماً للفعل كقولهم فلان يضر وينفع ويعطى ويمنع ومنه قوله تعالى - وانه هو أضحك وأبكى وانه هو أمت وأحيا - ومن ذلك حذف القسم أو جوابه فأما حذف القسم فكثير ومنه قوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - تقديره والله لقد أو غير ذلك مما شاء الله أن يقسم به ومنه قوله تعالى - لتجدن أشد الناس عداوة

للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا - الموجود بعد حذف القسم صورة جوابه لو كان موجوداً ولا يحفل غير ذلك ووجوده دليل على القسم وفائدته الاختصار في اللفظ وكون التوكيد أخف ولا يلحق المنكلم به من التشديد ما يلحق من اللفظ بالاسم المعظم مقبلاً به وهذا المعنى شرعى فلا يلحق غير المكلف وهو مما نواطأ عليه العرب فانه شرع فيهم ورضوا به واصطلحوا عليه وأما حذف جوابه فكقوله تعالى - لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة - حذف جواب القسم ابهاماً ليكون أشد خوفاً للسامع ويجوز أن يكون الجواب المحذوف لأعاقب من يقول ان عظامه لا تجمع أو لأدخله جهنم أو ما أشبه ذلك من عذاب الله وانتقامه الذي لا يحصى ومنه قوله تعالى - ق والقرآن المجيد - حذف أيضاً الجواب ههنا كما حذف في لا أقسم بيوم القيامة الا انه قد جاء في أثناء السورة جواب قسم محذوف مقترناً بواو العطف وهو قوله تعالى - ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد - فهو مشعر بالجواب المحذوف - لانه قسم معطوف على القسم الأول - فأما حذف الشرط الذي هو أداة الشرط والجملة الأولى التي تلى أداة الشرط فيحذفان معاً وتحذف الجملة التي تلى أداة الشرط وحدها فأما حذفها معاً فكقوله تعالى - لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته أطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام - الشرط المحذوف في هذه الآية فان عقدتم اليمين وحسنتم والدليل عليه ذكر المؤاخذه فانها ليست على عقد اليمين وانما هي على الحث وفي قوله في آخر الآية واحفظوا أيمانكم أيضاً دليل على ذلك ولبس في ذلك شيء هو عوض عن المحذوف وفائدة الحذف ههنا الاختصار وإيلاء المؤاخذه والكفارة عقد اليمين التي تتعرض للحنث ليجنب ذلك في غير الضرورة - وأما حذف الجملة التي تلى الأداة فكقوله تعالى - وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً فإرشان مقبوضة - المحذوف فتدأبتم وهو معطوف على قوله كنتم على سفر ولم تجدوا كتاباً وهو الذي قام مقام المحذوف وأما حذف نو والجملة التي تليها فهما كأداة الشرط والجملة التي تليها ومثاله قوله تعالى - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا

لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض . المحذوف هذا لو كان ذلك ويدل عليه اللام التي في قوله لذهب . إذ لا يحمل لها على غير جواب لو وقد عوض عن المحذوف بكلمة إذا وإنما حذف ههنا تعظيماً للتناقض بذاك فضلاً عن اعتقاده وإبقاء لنفسه غير مقارن بما يتناقضه لفظاً . . ويحذف جواب الشرط وجواب لو وجواب كل ذي جواب كما يحذف جواب القسم ومثل ما حذف له جواب القسم . . أما حذف جواب الشرط فكقوله تعالى قل أرأيتم أن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد . وهو ليجزئكم بكفركم وهو أيضاً مبهم في أنواع العقاب . . وأما حذف جواب لو فكقوله تعالى ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب . وتقديره رأيت أمراً عظيماً . . وأما حذف جواب ما فكقوله تعالى فلما أسألتهم عن سبب كفرهم فاجابوا بما كانوا عتادوا . . وأما حذف جواب أما وأذا فهما شرطان وجواباهما جوابا لشرط فحذف جواب أما كقوله تعالى فاما الذين أسودت وجوههم أ كفرتم بما آتاكم . الجواب المحذوف فقيل لهم أ كفرتم بما آتاكم كما حذف وأبقى القول بدلالة وتكون الفاء حينئذ فاء عطف . . وحذف جواب إذا كقوله تعالى وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون . وهو أعرضوا ويدل عليه قوله تعالى وما تأتاهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عندهم مرصدين . . ومن الحذف حذف السبب والاكتفاء بالسبب وحذف السبب والاكتفاء بالسبب . . فأما حذف السبب للاكتفاء بالسبب فكقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين . ا كتنى بالقضاء الذي هو سبب الأمر عن ذكر السبب وهو ما جرى لموسى عليه السلام وحذف ذلك اختصاراً لعلم النبي صلى الله عليه وسلم بسببه من آيات آخر ولولا ذلك لم يحسن حذفه . ومن ذلك قوله تعالى فلا تفرنكم الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور . معناه لا تغتروا إذا غرتكم الحياة الدنيا وإذا غرتكم الشيطان فأجري النهي على الغار والنهي المغرور وهذا من ألطاف الحذف وأحسنه فإن المعنى لا يفرنكم فغفروا وا كتنى عنه بلا يفرنكم فقط ومن المعلوم أن الغار ليس ينهى فلم يبق النهي إلا المغرور فلو صرح بأمره لكان كالمكرر . . وأما حذف السبب للاكتفاء بالسبب فكقوله تعالى فإذا قرأت القرآن فاستعذ

بالله من الشيطان الرجيم . المراد والله أعلم فاذا أردت قراءة القرآن لان الاستعاذة إجماعاً
 مقدمة على القراءة وقد عطفها على القراءة بالغاء التي حكمها التعقيب فدل على ان
 المعطوف عليه محذوف اكنتى عنه بقراءة القرآن فلتناسب أن يكون سبب القراءة وهو
 الإرادة وانما حذف ههنا لانه لو قال أردت قراءة القرآن لاحتمل أن يكون القعود لمجرد
 الإرادة وانما هو للإرادة مع القراءة واذا قيل استعذ بالله قبل قراءتك احتمل أيضاً
 أن تكون الاستعاذة لقراءة مرادة كانت أو غير مرادة فلا يسر النعوذ أيضاً فيلزم أن
 تكون الإرادة مرادة ولو تلفظ بها لحصل اللبس لما ذكرنا أولاً فلزم أن يحذف معوضاً
 عنها بمسببها وهو القراءة . . . ومن الحذف الاضمار على شريطة التفسير ولو قيل الحذف على
 شريطة التفسير لكان أنسب لان المتعارف من كلام النحاة أن لا يطلق الاضمار إلا على
 اضممار الأسماء المفردة ولا سيما ما ليس ببارز فانه لا يكون إلا للفاعل أو للمفعول الذي
 قام مقام الفاعل واذا كان الضمير المنصوب والضمير المجرور ليسا ببارزين قيل فيهما
 محذوفان فالجمل أولى بذلك . . . ومن أمثاته قوله تعالى آمن شرح الله صدره للإسلام
 فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين . . . تقديره
 آمن شرح الله صدره فأنشرح وأثار كمن قلبه قاس عن ذكر الله أضمرت هذه الجملة
 وبدل عاينها قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم ولولا ذلك لم نعلم فكأنها أضمرت أو
 حذفت على شرط أن نفسر سياق الكلام يقتضي أن يكون آمن شرح الله صدره
 كمن أقسى قلبه ومثل هذا يقتضي الأدب أن يكون منسوباً الى العبد لا الى الرب وأيضاً
 يكون قد حصل الترديد بين المشروح قلبه والقاسى قلبه ويشبهه أن يكون في ذلك
 نسوة كما فإفرد القاسى قلبه وذكر على سبيل الذم فقط . . . ومنه قوله تعالى حكاية عن
 مريم عليها السلام قالت أنى يكون لى غلام ولم يسنى بشراً ولم أك بغياً قال كذلك
 قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً . . . كان جوابها
 ان الله قادر على كل شئ ويريد ذلك لمعنى كذا وكذا فاختصر هذا الجواب لما طول
 وقيل كذلك وهذا والله أعلم خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كذلك يكون لك ولد من
 غير مسيس بشر ثم فسر هذه الأمور المذكورة وعللها بقوله قال كذلك قال ربك

هو على هين هذا تفسير جواب قولها أنى يكون لى ولد ولم يمسن بشر وقوله تعالى
ولجعل آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً تفسير لمراد الله تعالى من خاتمة عيسى
عليه السلام آية ورحمة للناس وأنه أمر لابد منه لسبق القضاء به . . . وبما كثر من هذا
الباب حذف مفعول المشيئة والارادة كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها
المحذوف هنا مفعول المشيئة وهو إيتاء كل نفس هداها وتفسيره لآتيناه وإنما كثر حذف
مفعول المشيئة بعد لو وتفسيره فى جوابها لان مادة المشيئة والشئ واحدة فكان المشيئة
جعل ما ليس بشئ شيئاً فمفعول المشيئة على هذا لا يتأخر عنها وهو بعد لو منى لانتفائه
فى الجواب فيكون انتفاء المشيئة لازماً لانتفائه فانتفاؤه بالوضع وانتفاء المشيئة بالازوم
حذف مفعول المشيئة لينصرف الانتفاء الى المشيئة فيكون انتفاء مفعولها تابعاً لها . . . ومثال
حذف مفعول الارادة قوله تعالى يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم حذف مفعول
الارادة هنا لأن فى الآية التى قبلها ما يدل على أنهم افتروا الكذب وهو يزعمهم اطفاء
نور الله فلو ذكر آنفاً لكان كالمكرر فحذف وفسر بقوله ليطفئوا نور الله بأفواههم
وكان فى الحذف تنبيه على هذا المعنى القريب . . . وكثر الحذف مع شاء وأراد إلا فى هذا
المستغرب كقوله تعالى لو أراد الله أن يتخذ ولداً لأصطفى مما يخلق ما يشاء . . . ومنه
قول الشاعر

ولو شئت أن أبى دماً ليكيت عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

أما الاتيان بالمفعول فى الآية لأنه لو حذفه فقال لو أراد الله لأصطفى لم يظهر المعنى
المراد لان الاصطفاء قد لا يكون بمعنى التبنى ولو قال لو أراد الله لانتخذ ولداً لم يكن فيه
ما فى اظهاره من تعظيم جرم قتله . . . وأما الاتيان بالمفعول فى بيت الشعر فلانه لازمه
من اقامة الوزن الضمير والضمير لا بد أن يعود على مذكور ولأن فى اظهاره أيضاً تعظيماً
لبكاء الدم . . . ومن الحذف حذف جواب الأمر ومنه قوله تعالى فأوحينا الى موسى أن
أضرب بعصاك البحر فانفاق فكان كل فرق كالطود العظيم . تقديره فضرب فانفاق
وحسن حذف الجواب هنا لسرعة الامتثال وانفعال البحر . . . ومنه قول الاعشى
فقال عذراً ونكلاً أنت بينهما فاختر وما فيهما حظاً لمختار

فثبَّتْ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ " قَتَلْتُ أُسِيرَكَ إِنِّي مَانِعٌ حَارِي
تقديره فثبَّتْ ثم اختار فقال قتل أسيرك ، وحسن حذف جواب الأمر هنا لأن قوله
اقتل هو إحدى القصيدتين اللتين خيرا بينهما فلو أتى بالجواب لكان سكراراً .. ومن
الحذف حذف - لا - في جواب القسم وهي قاعدة عربية حذفت اختصاراً لعدم التباس
فإن الفعل المضارع إذا كان جواب القسم لم يسمعه اللام وتون التوكيد فإذا خلا منها
كان منعياً ، تقول في الأبحاب والله ليقومن زيد ، فإذا قلت والله يقوم زيد نعين أنه
منفي لعدم اللام والتون ومنه قوله تعالى تَفَنَّا تَذَكَّرُ يَوْسُفَ ، تقديره لا تفننا تذكرا
.. ومنه قول امرئ القيس

فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا وَأَوْقَطُمُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

ومن البيان الاستشاف وهو الاتيان بعد تمام كلام بقول يفهم منه جواب سؤال مقدر
• منه ما يكون باعادة اسم أو صفة كقوالك أكرم زيدا فزيداً أهل الأكرام أو أكرم
زيداً صديقك الصدوق كأنه توهم أن قائلاً يقول له لم بكرم زيد فكان استشافه كالجواب
لذلك .. ومنه قوله تعالى تَنَزَّلًا مِنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعَالَا الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ
اسْتَوَى • وقوله تعالى وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَهُوَ يَعْلِمُ الْسِّرَ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
له الأسماء الحسنى • الاستشاف هنا هو قوله تعالى - الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى -
وقوله تعالى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ له الأسماء الحسنى • وقوله تعالى لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ
وهو يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وهو اللطيفُ الخبير • يدفع وسفه تعالى بالاطف والخبرة
توهم من يستبعد مدركاً للبصر ولا يدركه البصر .. وقد يكون الاستشاف بما ليس فيه
اعادة اسم ولا صفة كقوله تعالى أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَيْنَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ
هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَفِقُونَ ، ثم الجواب بقوله بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا • واستأنف
- فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطَفِقُونَ - تنبيهاً على أن جوابه تهكم بهم وليس على حقيقته وإن
من لا ينطق كيف بفعل هذا بل كيف يكون إلهاً وهذا النوع في الكلام كثير وهو
من لطيف البيان ولا ينبغي أن هذا يعد من الحذف لأن المنكهم ما حذف من كلامه
شبهاً وإنما السؤال لم يقع فكان هذا جوابه لو وقع

ومن لطيف البيان الاتيان بالواو مع الأحوال والصفات والجل انتفاة
وغير ذلك لكثرة ذلك الأمر أو غلبته أو كونه ملكة أو كونه يبعد عدمه أو
بإستحيل فما إستحيل عدمه يبنى أن يجب الاتيان بالواو فيه ويقبح ويحسن فيما
لا إستحيل فيه العدم بحسبه وما ليس فيه شئ من ذلك لا يبنى الاتيان بالواو فيه
وقد تحذف الواو في بعض هذه المواضع تنبيهاً على أمور لطيفة غريبة . . فن الاتيان
بالواو فيها إستحيل عدمه قوله تعالى . وما ننزلت به الشياطين وما يبنى لهم وما
يستطيعون . وقوله تعالى . وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم .
كذلك لأن القدر سابق باهلاك القرى . وقوله تعالى . إنهم عن السمع سمعوا ولم
يعرفوا . مع أن وجود السمع مستبعد لانه إخبار بإبتداء ذلك عند بعثة محمد صلى الله
عليه وسلم وكان منهم كثيراً قبلها . ومن لطيف ذلك قوله تعالى وسبق الذين كفروا
إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤوها فُتِحَتْ أبوابها . وقال في حق المنتفين حتى إذا جاؤوها
وُفِّتَتْ أبوابها . تخفيفاً لوجود تفتح أبواب الجنة للمنتفين وتقديمه على بحيثهم وحذف
الواو في تفتح أبواب جهنم وإن كان غالباً اشعاراً بغلبة رحمة غضبه . والموضع الذي
يقبح الاتيان فيه بالواو لعدم هذه المعاني كقولك جاء زيد والإنسان أى وهو الإنسان
وجاء زيد وهو راكب إذ لم يكن من شأنه الركوب وينبغي أن يقال جاء زيد الإنسان
وجاء زيد راكباً . . وقد جاء في أشعار العرب حذف بعض الكلمة بحيث يُخل بالحق
أو لم يكن في بقى الكلام ما يدل عليه وهذا مما البيان اجتنابه وإن جاء عن العرب
منه قول عذمة

كَأَنَّ إِبْرِيْقَهُمْ ظَنِيٌّ عَلَى شَرْفٍ مُفْدًى مَّا بَسَا الْكَتَّانُ مَلْنُومٌ

يريد سبائب الكتتان . وكذلك قول لبيد

♦ دَرَسَ الْمَنَّا بِمَنَالٍ فَأَبَانَ ♦

يريد المنال . وقول أبي ذؤاد

يُذَرِّبُ جَنْدَالَ حَايِرٍ بِحُبُوبِهَا فَكُنَّا تَذَكِّي سَنَابِكِهَا الْعُجَا

يريد العجائب . ومنه

• أَوْ آتَى مَكَّةَ مِنْ دُرِّ الْحَبَى •

يريد الحام لحذف الالف والميم وأتى بياء الاطلاق

ومن البيان الاطناب وهو ضد الايجاز من البيان • والايجاز والاطالة ضدان في البلاغة وفي غيرها • والاسهاب هو كثرة الكلام وهو أعم من الاطناب فانه يطلق على الاطناب الذي هو بلاغة وعلى كثرة الكلام التي لا بلاغة فيها • والاطناب الاطالة في الكلام لرفع ما ينوهم في الكلام الوجيز من لبس أو لتعظيم المذكور وتحويل أمره عند السامع • • فلما جاء لرفع اللبس قوله تعالى فن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة • فقوله - تلك عشرة - مع أن الثلاثة والسبعة معلوم أنها عشرة رفع لتوهم أنها ثلاثة في الحج أو سبعة في الرجوع لاحتمال التردد. وقوله - كاملة - مع أن العشرة لو نقصت لم تكن عشرة فلدته أن التفريق ما نقص أجراها بل أجراها كامل كما لو كانت متوالية فنسب الكمال إليها لكمال أجراها • ومثله قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه • وقوله تعالى فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور • لأن القلب حقيقة هو البضعة من اللحم المعروفة ويطلق القلب على الفهم والادراك الذي هو بالقلب فرفع التثنية عن البضعة التي في الجوف لا عن الفهم فانه يتعدد بحسب المفهومات وكذلك العمى الذي هو وصف الجارحة التي هي العين أطلق أيضاً على البضعة التي في الصدر لشاركتها العين في انها عضو ولم يطلق على الفهم الذي هو معنى • • وأما ما جاء لتعظيم الأمر وكونه مهولاً فكقوله تعالى إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت الى قوله علمت نفس ما أحضرت • اذ يكفي في الدلالة على وقت علم النفس ما أحضرت قوله تعالى إذا الشمس كورت أو غيره من الانتي عشرة المذكورة فعندها لعظم ذلك اليوم وهوله وهذا أحق باسم الاطناب من الأول

ومن البيان توكيد الضمير المتصل بالمنفصل وعدم توكيده • أما توكيده به فلتحقيق الأمر وتبينه اذا احتقل الكلام لبساً ما • وأما عدم توكيده فعند عدم اللبس في ذلك الأمر أو ارتفاع اللبس من الكلام بأمور آخر فلو وكد حينئذ كان اطالة فقط •

ومن ذلك قوله تعالى وإن إلى ربك المنتهى وإنه هو أضحك وأبكى وإنه هو أمات وأحيا وإنه خالق الزوجين الذكور والأنثى . لما كان الضحك والبكاء مما يتعاطاه البشر وتؤثره أفعالهم وكده ضميره تبارك وتعالى تفريراً لأن كل فعل هو له حقيقة ولغيره مجاز وكذلك الأحياء والاماتة ربما ادعاها بعض البشر كمنزود في قوله أنا أحي وأميت بخلاف خلق الزوجين الذكر والأنثى فإنه لا يدعيه أحد لأن الحسن يكذبه والبدية تقضى بأنه ليس إلا للاله . ومن عدم الضمير لاستغناء الكلام عنه قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتُعزّض من تشاء وتُذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير . لم تؤكد الكاف في قوله - إنك على كل شيء قدير - لما سبق من الأمور التي وصف تبارك وتعالى بها التي لم تنق حاجة إلى التوكيد . ومن التوكيد بالضمير قوله تعالى فلما أنها نودي يا موسى إني أنا ربك فأخضع نفسك إنك بالوادي المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لسا يوحى إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري . لما أتى موسى عليه السلام النار ولم يعلم حقيقتها قيل له - أنا ربك - لتحقيقاً لأن المسكلم هو الرب لا النار ولا غيرها مما لبس رباً ثم قال - وأنا اخترتك - عطفاً على - أنا - قبله ولم يكرر - إني - استغناء بالأولة ثم قال - فاستمع لما يوحى - فذكر الوحي الذي هو من أمر النبوة التي يحتاج صاحبها إلى التحقيق والقطع بأنه كذلك ثم قال بعد ذلك - إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني - إني بنون الوقاية توكيداً لتحقيق إن وإني بالضميرين توكيداً لأن المنادي الله وإن المراد بالرب المذكور قبله الله لا ما يحتمل لفظ الرب مما سوى الله ثم وكّد ذلك بقوله - لا إله إلا أنا - فأذهب التوهم من كل وجه ثم قال بعد ذلك - فاعبدني - اذ لا يستحق العبادة غيره ثم قال - وأقم الصلاة لذكري - شرعاً للصلاة التي هي من فروع التوحيد فالتوكيد في هذه الكلمات من ستة أرجح أحدها - إن - لتحقيق ونائبها وقايتها بالنون لتحقيقها ونائبها توكيد اسمها بالضمير المنفصل وهو قوله - أنا - الذي هو أحق عبارات المتكلم به ورابعها قوله - لا إله إلا أنا - لتحقيق معنى الألوهية والوحدانية وخامسها قوله فاعبدني اذ لا يستحق العبادة غيره وسادسها قوله - وأقم الصلاة لذكري - توكيداً

ثبوت موسى عليه السلام بأن شرع له

ومن البيان الكناية والتعريض وهما معنيان متقاربان جداً وربما التباس على كثير من الفضلاء امرهما فمثل أحدهما بما يستحق أن يكون مثلاً للآخر وربما كان ذلك لكون اللفظ صالحاً للكناية من وجه والتعريض من وجه * والفرق بينهما أن الكناية وضع لفظ يراد به معنى يعرف من لفظ آخر هو أحق به لكن يعدل عنه لقبحه في العادة أو اعظمه أو لستره أو لما تناسب ذلك من الأغراض * والتعريض أن يذكر شيء يفهم منه غير ما وضع له تناسباً ما بين المعنيين * فمن الكناية قولهم في الاسم العلم فلان وفي اسم الجنس الهن * والكناية بالوطء والجماع وغيرهما من التافظ بالفعل المستبجح ذكره * وقد نوع الكناية أهل البيان وسموا كل نوع باسم * فمنها التمثيل وهو أن يضع على الشيء ما هو واقع على منته أو مشابهه كقولهم فلان نقي الثوب أي طاهر العرض أقاموا النقاء مقام الطهارة والثوب مقام العرض * ومنه قوله تعالى وثيابك فطهر * على رأي كثير من المفسرين أن المراد تطهير القاب ولا يمنع أن يكون المراد ههنا تطهير الثياب حقيقة * والكناية التي لا تحتمل الحقيقة مثل قول عنترة

فشككت بالرُمح الأصم ثيابه ليس الكريم على القنا بمنحرم

وقد سمي بعض الناس هذا مجاورة وهو داخل تحت حدة التمثيل * ومن ذلك ما جاء بالأمثال السائرة كقولهم يتبع السبل الرثي وجاوز الحزام العليلين * فيها اشتد من الأمر ولعلمهم لهذا سموه بالتمثيل * ومنها الازداف وقدامة سماء بذلك وهو أن يؤول عوضاً عن الكلام بما هو مرادف له كقول الشاعر

* بعيدة مهوى القرط *

يريد طويلة العنق * وينقسم الى أقسام منها المبادعة وهي مشتقة من بدة أي بدا من غير روية إما لتبيين أن الأمر كذلك أو لإرادة المغالطة بالمسارعة الى ذلك اللفظ * مثال الاول قوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه * فقوله لما جاءه أي تناوع الى التكذيب من غير روية ولا فكر وذلك يكون للجهل أو العناد * ومثال الثاني قول الشاعر

إذا ما نعى أناك مفأخراً فقل عدي عن ذا كيف أكلك للضب

غالط عن الفخر وكفى عن الحجة بأكل الضب . . ومن الارداك الكناية بمثل في قولهم - مثلك يفعل هذا . ومثلك لا يفعل هذا - انبانا للأمر أو نفيه ادخالا للمقول له في ضمن المثل العام فيكون ذلك أزم له وليس في قولهم أنت تفعل هذا وأنت لا تفعل هذا من الوقوع في النفس ما لقولهم مثل . وقد قيل معنى قولهم مثلك أنت ومنه قول الشاعر
فإن أستطع أغيب وإن يغيب الهوى فقل الذي لاقيت يغلب صاحبه

وقد قيل في قوله تعالى ليس كمثل شيء . أنه من هذا الباب وفي هذا من المحذور أنبات المثل لله سبحانه ولو على سبيل المجاز . ولهذا قيل إن المثل هو الشيء نفسه فيكون معنى - ليس كمثل - ليس مثله شيء ومعنى المثل الذي هو نفس الشيء الموصوف بالصقات لا الماهية فيكون حينئذ نفي الماهية عن قوله مثل أعم من نفيها عن قوله هو لأن الشيء عن هو قد يراد به نفي مماثلة الحقيقة فقط والشيء عن مثل يقتضى نفي مماثلة الحقيقة والأوصاف فلذلك عدل عن قوله كهو إلى قوله كمثل . ويجعل أن يقال نفي مثل المثل لأن نفي مثل المثل يقتضى أن وجود المثل محال لأنه لو كان موجوداً لكان مثل المثل موجوداً وهو الشيء . . ومن ذلك ما يأتي جواباً للشرط ملفوظ به أو مقدر لأن فيه زيادة تعنيف . مثال الملفوظ فيه بالشرط قول عنزة

إن تعدي في دؤوى القناع فاني طيب بأخذ الفارس المستلم

يقول اني طيب بأخذ الفارس المستلم فأنا أهل لأن أكرم وأقرب . وفي ذلك تعنيف لها على اغتاف القناع الذي هو ابعاد له ويجوز أن يكون المعنى اني قادر على أخذ الفارس المستلم فأنا على أخذك أقدر فلا ينفعك التستر بالقناع . ومثال ما الشرط فيه مقدر قول عنزة أيضاً

أحولى تفض استك مذروبيها لتقتلى فيها أنا ذا عماراً

فقوله - ها اناذا - يريد أنك عاجز عن قتلى وفيه تكذيب لمهارة في توعد بالقتل . . ومنه الاستثناء من النفي وتفسيره بصد المنى توكيداً لذلك النفي كقول القائل - مالك قل إلا الشمس - فاستثناء الشمس التي هي ضد الظل توكيداً لنفي الظل . ومنه قوله

تعالى لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً إلا قيلاً سلاماً سلاماً . استثنى سلاماً سلاماً الذي هو ضد اللغو والتأثيم فكان ذلك مؤكداً لانقضاء اللغو والتأثيم . ومنه قول الشاعر
وتفرّدوا بالسكرات فلم يكن
لسواهم منها سوى الحرمان
ومثل ذلك قول الشاعر

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلولاً من قراع الكتائب
وفي هذا البيت زيادة عن الكناية بديعة وهو أن فلول السيوف عيب فيها فأوهم بذلك عيبهم وإذا كان من قراع الكتائب كان من أشرف المدح وأشدّه مضادة للعيب . وفي هذا البيت معنى لطيف وهو أنه إذا أوهم العيب أصنى العدو الذي لا يصنى للمدح فيسمع المدح كارهاً . وأمثلة الازداف كثيرة وإن لم يكن فيها شيء من هذه المعاني المتقدمة . ومنه قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لئن آمن منهم أنعلمون أنب صالحاً مرسل من ربهم قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون . عدلوا عن قولهم نعم أو نعم لكلاً بنازعوا في موجب العلم وقالوا - إنا بما أرسل به مؤمنون - لأن الإيمان والتصديق يكون عن أمر بديهي لهم ولا منازعة في البديهيات ومنه قول جميل بن معمر

قلوا توقّ خيام الحى إن لهم عيناً عليك إذا ما نمت لم نهم
فقلت إن دى أقصى مرادهم وما علت نظرة منها بسفك دى
قولهم - إن لهم عيناً عليك - كفى به عن قوله يريدون قتلك وكذلك أجابهم بقوله
* فقلت إن دى أقصى مرادهم *

ومن الكناية ما ليس بتشيل ولا ارداف ولا مجاورة وهو كالذى سبق من الضمير والموصول وغيره . ومنه أيضاً قوله تعالى أو من ينشأ في الحياة وهو في الحصار غير مبين . كفى به عن النساء وهو انهن ينشأن في النعمة والغفلة عن مدارك العقول والنظر في دقيق المعاني وذلك مما لا يليق بالملائكة فلذلك كفى عن النساء فإن لفظ النساء لا يدل على ذلك . ومنه قول كبشة بنت معديكرب تحرض على أخذ ثار أخيها عبدالله ولا تأخذوا منهم إفاً وأبكاراً وأترك في بيت بصعدة مظلم

الكناية - بيت مظلم - عن قبر من لم يؤخذ بناره فان من أقوال العرب انه لا يزال قبر القنيل مظلماً حتى يؤخذ بناره فيضي . . . ومن الكناية ما يستقبح كقول المتنبي
إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها
كفى بقوله - ما في سراويلاتها - عن الفرج وما والاء ولعمري ان ذكر الفرج بأقبح أسمائه أحسن من قوله - ما في سراويلاتها - وهذا ليس بقسم من أقسام الكناية فان هذا قبح في الشعر الذي يقع في الكناية وفي غيرها . . . وعن مثل هذا بعينه كفى الشريف الرضي بقوله

أحزن إلى ما تضمن الخمر والمحلل وأصدف عما في ضمان المآزر
فأني بالطف ما يكون من اللفظ فوصف بته بالحسن كما وصف بيت المتنبي بالقبح .
ومن أحسن ما جاء من مثل ذلك قول عمر بن أبي ربيعة

لست أنسى قولها ما تعددت ذات تطوق فوق غصن من عُشَر
حين صممت على ما كرهت هكذا يفعل من كان عُذَر

كفى بقوله - صممت على ما كرهت - عما يروم من الفاحشة وفيه مدح لها بالعفة ولم يفهم من قوله انها أجابت . . . وأما التعريض فقد ذكره الله تعالى فقال ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم عليم الله أنكم سئذ كروهن ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا . فتنى الجناح عن عرض فدل بالمفهوم على أنه على من صرح ونهى عن التصريح بقوله تعالى - ولكن لا تواعدوهن سرا - فدل ذلك على أن التعريض بباح والتصريح محظور في هذه الصورة . . . ومن التعريض البديع قوله تعالى فيما حكاه عن قول الحواريين يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . فكان غرضهم طلب المعجز فعرضوا بالاستفهام عن استطاعة الرب لا تزال المائدة فلما قال لهم عيسى عليه السلام اتقوا الله ان كنتم مؤمنين - قالوا نريد أن نأكل منها ونطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتا ونكون عليها من الشاهدين . فعرضوا بذلك كله وقربوه من التصريح ولم يصريحوا فتحقق عند عيسى عليه السلام مرادهم

فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين . فدعا باسمه العظيم الجامع وأردفه بقوله ربنا - لقولهم - هل يستطيع ربك - وعمم الرب اذ لا يستطيع ذلك الا الله وسأل الله المائدة وأن تكون عيدا في ضمن هذا سؤال الله تصديقهم له وهو من التعريض البديع وسأل أن تكون آية وذلك بما لا يصلح أن يكون الا للأنبياء ثم قال - وارزقنا وأنت خير الرازقين - تعريضا بطلب ما سألوهم من الأكل منها لانه من الجائز إن كان أنزل عليهم مائدة وحظر عليهم الاكل منها فانظر الى ما في هذه الكلمات من المعاني البديعة ولعل في قوتها ما تعجز عنه القوة والله أعلم بذلك . . ومن أحسن التعريض قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم لأن عمر وابن عباس رضى الله عنهما فسراه بنى نفسه اليه صلى الله عليه وسلم وعما فهم من هذا التعريض رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض بقوله فيما رواه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن المرأة الصالحة خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وهو محتضن أحد ابني ابنته وهو يقول والله أنكم لتجنبنون وتبخلون وتجهلون وانكم لمن ريحان الله وان آخر وطأة وطئها الله بوجج - ووجج - واد بالطائف قريب من حنين والمراد غزاة حنين وانها آخر غزواته صلى الله عليه وسلم وان وفاته صلى الله عليه وسلم قريب منها وكان بينهما ستان ونصف وذكر ان الأولاد من ريحان الله وانهم يحبنون ويبخلون ويجهلون وكل في طريق هذا التعريض . . ومن التعريض قول الشمندر الحارثي

بنى عمنا لا نذكر والشعر بعدما دفنتم بصحراء الغمير القوافيا

فقوله - دفنتم القوافيا - أي إن ما جرى لكم في ذلك اليوم من قهرنا لكم لا يصلح بعده ذكر الشعر فلم يذكر القهر والغلبة وعرض عنه بدفن القوافي . . ومن التعريض قول امرئ القيس في البيت الذي جاوز حسنه الوصف وهو قوله

وصبرنا الى الحسنى ورقى كلامنا ورضت فذللت صعبة أي إذلال

عرض بقوله - وصرنا الى الحسى ورق كلامنا عما يكون عند اجماع ووصف نفسه بحسن
الرياضة ووصفها بالصعوبة والتعنف ثم قال - أى اذلال - ولم يقل أى ذلة تعظم بالرياضة
وتلطفه فى التذليل فنصب - أى اذلال - على المدح ولم ينصبه مصدرأ عن ذلت
• • ومن التعريض اللطيف ما يكون عن أمر يدل عليه اصطلاح معروف لكن كثيراً
من يسمع ذلك بعزب عنه ذلك الاصطلاح أو لا يعرفه لانه ليس من أهله كقول
عمر بن أبى ربيعة

أُهِيمُ بِهَا فِي كُلِّ مُمْسَى وَمُصْبَحٍ وَأَذْكُرُهَا يَوْمًا إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي

وفى قوله - وأذكرها يوماً إذا خدرت رجلى - غموض ومعناه ان مما يجرى مجرى
خرافات العرب وقد يكون من الخواص ان من خدرت رجله اذا ذكر من يحب زال
الخدر فقوله - وأذكرها يوماً إذا خدرت رجلى - تعريض بأنها محبوبته • وقريب
من ذلك قول الفرزدق

وَمَا نَصَافًا إِذَا دَوَّاهُ أَجْنَحْتُ إِلَى غُضُونِ الصَّغِيرِ الْجَرَّاحِ
وَجَاءَ بِجَلْمُودٍ لَهُ مِثْلُ رَأْسِهِ لَيْسَ قِي عَلَيْهِ الْمَاءُ بَيْنَ الصَّرَامِ
عَلَى حَالَةٍ لَوْ أَنَّ فِي الْقَوْمِ حَاتِمًا عَلَى نُجُودِهِ لَضَنَّ بِالْمَاءِ حَاتِمِ

عرض بقوله - وجاء بجلمود له مثل رأسه - عن شدة حاجته الى الماء وطلبه للكثير
منه بين الصرام بمعنى المواضع العطشة التى يعز فيها الماء حتى ان حاتم على كرمه يخل
به - والمصافاة - تقاسم الماء فى المواضع العطشة وقد لا يوجد الاناء الصغير الذى يمكن
أن يتسم به فيوضع فى الاناء الكبير حصاة لطيفة ويسكب فيه الماء حتى يكون مثل ارتفاعها
فيكون ذلك حينئذ قائم مقام الاناء الصغير فى القسمة وهذا الامر لا يعرفه الا من كثرت
أسفاره فى المواضع العطشة أو سمعه من كثرت أسفاره فى المواضع العطشة. وهذا
الامر مما يفعله أهل هذا الشأن الى الآن وجرح حاتم آخر البيت على البدل من الهاء
العائدة الى حاتم فى صدر البيت وقد روى ما جاد - فى موضع قوله - لظن - وروى -
ضنت به نفس حاتم ولا اشكال حينئذ والظاهر ان هذا اصلاح لا رواية

ومن البيان ان نفي العام يستلزم نفي الخاص وانبات الخاص يستلزم اثبات العام

فيذكر المستلزم وهو أن يؤتى في النفي بالأعم وفي الاثبات بالأخص . . ومن ذلك ما هو متعارف في اللسان كقولهم ما في الدار أحد وما في الدار دينار . وما في الدار دواير . . ويعمل في مثل ذلك فيما لبس بمتعارف توكيداً لما يُراد من النفي أو الاثبات مثال ذلك أن يقال أني الدار زيد فيقال في جواب ذلك ما في الدار رجل أو ما في الدار أحد لأن رجلاً واحداً كل واحد منهما يتضمن زيداً وزيد رجل بنى أمثال زيد من الذكور وزيد أحد بنى جنس زيد من الذكور والاناث وهذا زيادة بيان هذا إذا كان الموطن يقتضي ذلك وأن لم يكن الموطن مقتضياً لذلك كانت زيادة لا حاجة اليها والمفرد في سياق النفي أعم من الجمع واسم الجنس فإن من يقول ما عندي دراهم أو ما عندي تمر قد يكون عنده درهم أو تمر فيكون صادقاً على وجهه ومن يقول ما عندي تمر وما عندي درهم لا يجوز أن يكون عنده تمر ولا دراهم فلو قيل قد يكون عنده بعض درهم فهذا قل ما يقع أو يقصد . وقوله تعالى في قصة نوح عليه السلام قال الملائكة قوموا إنا نراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة . ولم يقل لبس بي ضلال لأن نفي الضلالة يستلزم نفي الضلال وهو أبلغ من عكسه ولا يرد عليه بعض ضلالة إذ بعض الضلالة ضلالة وعكس ذلك يكون في الاثبات . ومثاله أن يقال أني الدار أحد فيقال في الدار زيد وكان يكفي أن يقال نعم وفي تعيين زيد زيادة بيان ويحسن أيضاً في موطنه ويقبح في غير موطنه . . ومن ذلك قوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إليكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُنسرك بعبادة ربه أحداً . أمر بالعمل الصالح من كان يؤمن بالله وهو جزئي ونهاه أن ينسرك به أحداً فاستعمل العام بعد النهي والأمر اثبات والنهي نفي وكذلك قوله - فمن كان يرجو لقاء ربه - بعد ذكر الإله الذي لفظه أعم من لفظ الرب فاستغنى عنه بالأخص الذي هو الرب وكذلك قوله - بعبادة ربه - أيضاً . ومنه قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون . نفي النور الذي هو أعم من الضوء المذكور ولو نفي الضوء لم ينتف النور وقوله - وتركهم في ظلمات لا يبصرون - بين هذا المعنى لأنه من الممكن أن يرى

في الظلمات شيء فوكده ذلك بقوله - لا يبصرون - لينتفي هذا التوهم ودليل كون النور أعم من الضوء قوله تعالى وهو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا . فالنور أعم والضياء أتم

ومن البيان ابهام النى حين يراد تعظيمه وتفضيحه عند السامع وقد يفهم النى مع الابهام فلا يقتصر الى تفسير وقد يفسر بعد ذلك . . فما جاء غير مفسر قوله تعالى في قصة ابراهيم عليه السلام قال أَنعِبُدُونَ مَا تَشْحَتُونَ . أبهم ولم يفسر لدلالة القرآن من تكبير الأصنام وما تقدم له من ذكرها . وقوله تعالى في خطاب فرعون لموسى عليه السلام وفعلتَ فِعْلَتِكَ التي فعلتَ وأنتَ من الكافرين . . وأما ما جاء مفسراً بعد الابهام فكقوله تعالى فاذا جاءتِ الصاخة . ثم فسر الصاخة بقوله تعالى يوم يفرُّ المرءُ من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . وفي قوله تعالى بعد ذلك لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يُغْنِيهِ . تفسير للصاخة وابهام للشأن . وفي قوله تعالى بعد ذلك وجوهٌ يومئذٍ مسفرةٌ . الى آخر السورة والله أعلم من تمام تفسير الصاخة ولم يفسر الشأن لابقاء عظمته في النفوس ويجوز أن يكون تفسيراً لشؤون العداة والاشقياء واختلافهما . وأما قوله تعالى وإذ يرفعُ ابراهيمُ القواعدَ . على سبيل الابهام وفسرها بقوله من البيت . ولم يقل قواعد البيت ففيه تعظيم وتفضيح لذكر القواعد على سبيل الاستقلال لا على سبيل الاضافة فان المضاف يتعرف بالمضاف اليه فكأنه كالتابع وفي قوله - قواعد البيت - ما يوهم انه كان ثم بيت وله قواعد وليس كذلك وهذا التوهم عند أفراد القواعد عن الاضافة أبعد . وبما جاء للتفخيم ذكر العقد من عقود العدد مستثنى منه بدلا عما دونه كقوله تعالى فابتَ فبهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاماً . ولم يقل تسعمائة وخمسين تفخيماً للأمر بذكر العقد وهذا مما لا يراه الحساب اذ لا حاجة بهم في حسابهم الى التفخيم . ومن ذلك قول امرئ القيس

وهل يبعث من كان أحدث عهدٍ ثلاثين شهراً في ثلاثة أحوال

نعم المدة بقوله - ثلاثين شهراً - بكثرة عدد الشهور ثم قال - في ثلاثة أحوال - تفخيماً لها بالتمام اذ هي واقعة في ثلاثة أحوال ولم يقل حولين ونصفاً . . وقد يكون

التفخيم بتشقيص العدد لتكرير العطف وتكثير أسماء العدد . ومن ذلك قوله تعالى
وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَزَّلْنَا مُبَارَكًا مِنْ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً . ومن
ذلك قول جمع

مَضَتْ مِائَةٌ مِنْ مَوَالِدِي فَانْتَضَبَتْهَا وَخَسَّ رِبَاعٌ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَرْبَعُ

ولم يقل وتسع وكان يمكنه أن يقول - وتسع ورأى كاشغامة أصاح - أو غير ذلك
ومن البيان تعقيب الكلام بمصدر معظم بمن أضيف إليه تأكيداً لما في ذلك الكلام
من الحكم والمعاني وغير ذلك مما يعظم في بابهِ خيراً كان أو شراً . ومنه قوله تعالى
وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْتَهَا جَاسِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ الَّذِي آمَنَ كُلُّ شَيْءٍ أَنَّهُ
خَيْرٌ مِمَّا يَفْعَلُونَ . لما كانت الجبال ترى جامدة وهي تمرّ مرّ السحاب لسرعة حركتها
وهي لا ترى كان ذلك أمراً عظيماً نَحَارَ فِيهِ الْعُقُولُ وكذا بقوله تعالى - صُنِعَ اللَّهُ - ثم
وصف نفسه بأنه المتقن لكل شيء . وكذلك قوله تعالى فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ
فَقَدْ أَهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ صِبْغَةَ
اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ . لما ذكر خالق الإيمان في قلب من
آمن وسماه هُدى وذكر صفة من تولى ولم يؤمن وسماه شقاقاً ووعد نبيه صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى - فَيَكْفِيكَمُ اللَّهُ - وكان هذا الأمر مما لا يقدر عليه إلا الله ففي
هُدى بعض الناس حكمة خفية لا يكاد يطلع عليها نسب ذلك إلى فعله بقوله تعالى
- صِبْغَةَ اللَّهِ - وفي هذا رد على القدرية وعقب ذلك بقوله - ومن أحسن من الله
صبغة - تأكيداً لهذا المعنى وإعلاماً بأن الحكمة في ذلك وإن خفيت فهي فوق قدرة
البشر . وهذا في القرآن وفي كلام العرب كثير . . . وقد يكون تأكيداً لنقد ذلك من
تعظيم شرٍّ أو تعظيم التفريط في الحكمة كما يقال للسفيه في ماله ودينه والمسيء لسياسة
أمره أنك لتسرف في تبذير مالك واتفاقه في المعاصي وأنتك لتوغر صدور الناس عليك
فعل الشيطان تعظيماً لشر ما يأتيه وفعل المجانين تعظيماً لبائسته الحكمة . . . ومن
ذلك قول الشاعر

يَرْكَبُ كُلُّ عَاقِرٍ جُهورِ مخافةً وزَعْلَ المَجْبورِ

والهول من تهول الهبور

يجوز أن يكون مخافة وما عطف عليه منتصباً على المصدر أو مفعولاً له وهو مصدر
أينشاً فوكده به سوء فعله في كونه ركب العاقر وهو ما لم ينبت من الرمل مع أنه جمهور -
وهو ما تراكم من الرمل أيضاً وترك السهل خوفاً وسرعة لكونه مستعماً يمسر عليه
تحمل الشقاء أو هولا وتهولا من المواضع المضطربة للجهنم وكل ذلك ركوب السهل خير
منه فوكده بذلك المصدر ضعف رأيه مع أن المصدر حيث وقع يكون مؤكداً لفعله أو
مبيناً لنوعه أو لعددته وكل ذلك من باب البيان

ومن البيان التقديم والتأخير لا ترجيح لفظي بل لمرجع معنوي والمرجع اللفظي
قد سبق ذكره وهو من متعلقات النحو وهذا مما ليس يتكلم فيه من جهة النحو .
والمعاني المرجعوت كثيرة يعسر حصرها وفي ذكر بعضها ما يدل على ما لم يذكر
كالأشرف والأعظم والأقدم في الزمان والأكثر والراجح في شيء ما . . . وقد يكون
في المؤخر ترجيح ما ويقدم عليه رعاية لترجيح آخر إما من غرض انتكاس أولكون
المظنة أولى به . . . فما قدم للأشرف ما جاء في قوله تعالى والله يسجد من في السموات
والأرض طوعاً وكرهاً . فإن قيل إن في الأرض من هو أشرف ممن في السماء قلنا
ذلك قليل وأهل السماء كلهم أشرف وليس فيهم أرذل كالعصاة الذين هم أكثر أهل
الأرض . . . وما قدم للعظم ما جاء في قوله تعالى نخلق السموات والأرض أكبر من
خلق الناس . لما فضلهم على الناس في العظم قدم الأعظم منهما . وقد قدم الأرض
في قوله تعالى خالق الأرض والسموات الثقل . لتقدم خلق الأرض على خلق السموات
في الزمان . . . وما قدم للسكنة ما جاء في قوله تعالى نزل الملائكة والروح فيها بإذن
ربهم . قدم ذكر الملائكة وإن كان الروح من أشرفهم على القول بأن الروح ملك
وأخر وإن كان لفظ الملائكة يتناول له لشرفه ورفع نوحهم من يظن أنه لم ينزل مع الملائكة
لشرفه . . . وما قدم لكون خلقه أعجب وأدل على القدرة ما جاء في قوله تعالى والله
خالق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم
من يمشي على أربع . لأن المشي بلا آلة أدل على القدرة من المشي بآلة والمشى بالآلة

(١١ - انص)

القليلة أدل على القدرة من المشى بالآلة الكثيرة وفي هذه الآية ما يستشكل من إطلاق اللفظ الدال على من يعقل على ما لا يعقل في قوله تعالى - منهم ومن - وذلك لما جمع من يعقل مع ما لا يعقل في قوله تعالى - كل دابة - غلب من يعقل على ما لا يعقل وذلك في قوله - منهم - وأما من - في قوله تعالى من يشئ على بطنه . ومن يشئ على أربع - فليس من يعقل داخل فيه لكن لما أطلق على ما لا يعقل - هم - المختصين بمن يعقل لما ذكر من الجمع ساغ أن يطلق عليه من مع الافراد . . . وما قدم لتقديمه بالطبع ما جاء في قوله تعالى متى وثلاث ورباع . في صفة النساء والأجنحة . . . وما قدم وفي التأخر ما يرجع تقديمه ما جاء في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون آخر الانس وهم أشرف من الجن وقدم الجن لمعان . أحدها أنهم أقدم في الخلق . والثاني أن خلقهم أعجب للطف أجسامهم عن الإدراك بإبصارنا . والثالث كونهم أحق بالتعنيف لأنهم أكثر عصيانا من الانس ودليل التعنيف قوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وذلك يدل بالمفهوم على عصيانهم والتعنيف عليه وما يؤكد ذلك قوله تعالى ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . وقدم الرزق على الاطعام لكونه أعم منه

ومن البيان الاتيان بالمظهر دون المضمع ويكون ذلك لبيان عظم أمر ما كالجودة والرداءة والشرف والخسة وغير ذلك . . . فن ذلك ما جاء في قوله تعالى فلما ذهب عن إبراهيم الرؤع وجاءته البشرى بُجَادٍ لَنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ . إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ . قال - إن إبراهيم - ولم يقل انه لشرف إبراهيم عليه السلام والزيادة في تشریفه بما نسب اليه . . . وأما ما جاء منه للذم فتحقق قوله تعالى مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ . قال الله تعالى - فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ - ولم يقل له وقد سبق ذكرهم في من المبهم واسم كان المضمع فيها ذما لهم بالكفر وتبيناً أن عدو الله وملائكته ورسله لا يكون الا كافراً وفي هذه الآية اظهار اسم الله لعظمته تعالى وهو قوله تعالى - فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ - بعد ضميره في ملائكته ورسله

ومن البيان التخلص والاقتضاب وافتتاحات الكلام وخواتمه . . . أما النحاص من

كلام الى كلام وهو الذى يسمونه المخلص فى الشعر وهو الانتقال من النزل الى المديح مثلاً وهو أن يعلق آخر كلامه فى النزل بأول كلامه فى المدح بحيث يكون كالسكلام الواحد كقول ابن الرومى عن التى تفرل بها

أَرْجَتْ مِنْهَا كَلَاةً جَرْدَةً وَأَضَاءَتْ وَوُجُوهُ اللَّيْلِ سُودُ
قُلْتُ لَمَّا عَبَقْتُ أَرْوَاحُهَا بِأَسْلَا لَا ذَرَسْتَ تِلْكَ الْعَهْدُ
أَنَا ابْنُ يَزِيدَ بَيْنَنَا أَمْ نَسِمْ بَشْتُ رَوْضٍ بِجُودُ

وهذا مما اعتنى به المتأخرون ولم يعتن به المتقدمون ويأتى فى كلامهم فى الانتقال من النزل وغيره الى المديح وغيره . فن ذلك قول زهير بن أبى سلمى

تَأَوَّنَى ذِكْرُ الْأَحْبَةِ بَعْدَ مَا هَجَمْتُ وَدُونِي قَلَّةُ الْعَزْزِ فَالْزَمْتُ
فَأَقْسَمْتُ جَهْدَ الْبُلْبُلِ مِنْ بَنَى وَمَا سُحِفَتْ فِيهِ الْمَقَادِيمُ وَالْقَمَلُ
لَا رَتَحُنْ بِالْفَجْرِ ثُمَّ لَا ذَا بَيْنَ إِلَى الْبَيْلِ إِلَّا أَنْ يُعْرِجَنِي طِفْلُ
إِلَى مَعْسَرٍ لَمْ يُورِثِ الْفُؤَادُ جَدُّهُمْ أَصَاغِرَهُمْ وَكُلُّ فَعْلٍ لَهُ نَحْلُ

معنى - سحفت - حلقت مقاديم الرأس - والقمل - الشعر الذى فيه القمل وقوله - يعرجنى طفل - أى نلد ناقى أو تجهض فتعوقى عن السير . . ومن أحسن ما جاء من ذلك لبعض المتأخرين وقد سأله قرواش أن يهجو من يحضرته من مغنيه ووزيره وحاجبه فى ضمن مدحه له فقال

وَلَيْلٍ كَوْنِجِهِ الْبَرْقَعِيدَى ظُلْمَةً وَبَرْدٍ أَعَانِيهِ وَطُولٍ قُرُونَهُ
سَرَيْتُ وَنَوَيْمِي عَنْ جَفَوْنِي مُشْرِدٌ كَعَقْلِ سَلْيَانَ بْنِ فَهْدٍ وَدِينَهُ
عَلَى أَوْلَقٍ فِيهِ التَّفَاتُ كَأَنَّهُ أَبُو جَابِرٍ فِي خَبِطِهِ وَجُنُونَهُ
إِلَى أَنْ يَبْدَأَ ضَوْؤُهُ الصَّبَاحُ كَأَنَّهُ سَنَاوَجُهُ قُرَاشٍ وَضَوْءُ جِينِهِ

- البرقعيدى - المغنى - وسليمان - الوزير - وأبو جابر - الحاجب . وهذا فى حسنه مما تبعه ازيادة عليه بل مساواته . . وقد قال بعض الناس انه لم يجئ فى القرآن العزيز تخلص والذى حمه على قول ذلك انه وجد التخلص يقع غالباً متكلفاً والقرآن منزّه عن التكلف وليس ما ادعاء حقاً فانه وجد فى القرآن بهير تكلف كقوله تعالى سَأَلَ سَائِلٌ

بعذاب واقع ليس له دافع من الله ذى المعارج تمرُّج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبراً جباراً إنهم يرونه بعيداً وراه قريباً . ذكر أولاً عذاب الكفار وأن لا دافع له من الله ووصف الله تعالى بذى المعارج تخلصاً الى قوله - تمرُّج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة - وهذا من اللطف والتخلص وأحسنه . . . ومنه قوله تعالى الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم . هذه آية واحدة جاء في أولها صفة النور وتمثله وتخلص منه الى صفة الزجاجة وصفاتها ثم رجع الى ذكر النور والزيت الذي يستمد منه وتخلص منه الى صفة الشجرة وتخلص من صفة الشجرة الى صفة الزيت ثم تخلص منه الى صفة النور وتضاعفه ثم تخلص منه الى نعم الله بالهدى على من يشاء من عباده . . . وأما الاقتضاب فالانتقال من كلام الى غيره بكلمة تدل على الانتقال من غير أن يعاق بعض الكلام ببعض وهو غالباً بقولهم - أما بعد - وقولهم - وبعد - وبكلمات كثيرة غيرهما وقد سمي هذا فصل الخطاب وفصل الخطاب حقيقة هو تخلص المعاني بعضها من بعض والبيان بكل شيء في موضعه ومع ما يناسبه ولعله خلاصة علم البيان . أما قولهم أما بعد وبعد فغير محتاج الى المثال لكثرة في ابتدا آت الخطب والكتب المصنفة في العلوم المختلفة . . . وما يقتضيه الكلام لفظة - هذا - كقوله تعالى هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد . هذا فليذوقوه حيم وغساق . . . ومنه لفظة - كذلك - كقوله تعالى أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الآليم . وفي قوله تعالى يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً إن الشيطان للانسان عدو مبين . وكذلك يحثيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث . ومع كذلك هاهنا واو المعطف . والواو . والفاء . ونم . يعطف بها الجمل من هذا الباب

ومن لم يعد من قسكزتهم في الكلام وليس ذلك مما يخرجهم عن هذا المعنى . . . وما
يقتضيه به - بل - للاضراب - ولكن - للاستدراك - ولا - للثني في مثل قوله تعالى
فلا أقسم بمواقع النجوم . وقوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة .
ومن ذلك - كلا - للردع والزجر ومنه - سوى ذلك - وغير ذلك - ولا حاجة بنا إلى
حصر ما يقع في هذا الباب إذ قد فهم الغرض منه

وأما افتتاحات الكلام وخواتمه فينبغي لمن نظم شعراً أو ألف خطبة أو كتاباً أن
يفتتحه بما يدل على مقصوده منه ويخففه بما يشعر بانقضاءه وأن يقصد ما يروق من
الالفاظ والنعاني لاستمالة سامعيه إليه وأن يجنب ما يسطير منه وما يفعش لفظه أو
يستفذر وافتتاح أبي تمام قصيدته بقوله

✽ قصر عليه نحية وسلام ✽

خير من افتتاح أبي نواس بقوله

✽ بادار ما صنعت بك الأيام ✽

وان كانت قصيدة أبي نواس خيراً من قصيدة أبي تمام بكثير للتطير بالافتتاح . . . ومن
أحسن الافتتاحات والخواتم قول تائب شراً في افتتاح قصيدته وخفها التي وصف قصته
فيها مع الحيان وهو قوله في الافتتاح

إذا المرء لم يحتل وقد جد جدّ أضاع وقاسى أمره وهو مدبر

وختم بقوله فيها

فأبت إلى فهم وما كنت آيأ وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

ذكر أولاً المراد من القصيدة في الافتتاح وأشار إلى نجاح جبلته وانقضاء القصيدة
وودح نفسه بالبيت الأخير . . . ومن بدع الافتتاح والتم قول الشيخ أبي العلاء ابن
سليمان في قصيدة يرثي بها أحد أقاربه من بني عمه وعزى فيها أهله

غير محذ في ملتي واعتقادي نوح بالك ولا ترنم شاد

وشية صوت النى اذاق بس بصوت البشر في كل ناد

الالفاظ مساوية للمعنى مع حسناتها وتناسبها وما فيها من الطباق بين النوح وترنم الشادي

والنبي والبشير وما فيها من التسلية والتسوية بين صوت النبي والبشير وهي مع ذلك تأخذ بمجامع لب كل ذي عقل سليم وحقها بقوله

واللييب اللييب من ليس يفتر بكون مصره لفساد

وهذا البيت يكاد يشتمل على ما في القصيدة لما فيه من الوعظ وهو تصويب ترك الغرور بأمور الدنيا ومحوباتها ومستحسانها وذلك الذي أنشأ به على المرتضى وعلى أهله وتسليتهم بأن كون الدنيا مصيره لفساد فهو محقق ولا يخالف فيه أحد فلا ينبغي الأسف على ما لا بد منه وفي البيت تكرار - اللييب - للتوكيد والمراد به أل - اليا والطباق بين الكون والفساد مع تناسب ألفاظ البيت وحسن ترتيبها

ومن البيان أن يستعمل اللفظ الأكثر حروفا إذا كان فيه معنى الأقل حروفا
ليبان قوة المعنى فإن الزيادة دلالة على ذلك نحو - قَدَر وَاقْتَدِر وقَادِر ومَقْتَدِر - فإن قادرا ومقتدرا مشتركان في القدرة وزيادة التاء تدل على زيادة القدرة وهذا لا يطرد في كل زيادة فإن سين الطلب تدل على أن المعنى غير حاصل فكيف يكون أقوى وذلك كعلم واستعلم فإن المستعلم لا علم عنده فلا يشارك العالم وكذلك قولك كسر وانكسر وغير واعترفانه مع عدم الزيادة فعلمه ذلك بالغير ومع الزيادة وقوع الفعل به فهما مختلفا المعنى فلا تفاضل بينهما في القوة والضعف .. وأما أبنية المبالغة فإن فيها ما فيه زيادة كآل من أبنية المبالغة وفيه زيادة على سائل وسؤال فيه المبالغة وليس فيه زيادة على سائل .. وفعل أيضا من أبنية المبالغة وقد ذكر بعض الناس أن فاعلا أبلغ من فاعل واستدل بعموم فاعل وكثرته في الكلام وأشباه مما يناسب ذلك وهذا ليس بشيء فإن الأبلغ والأضعف إنما يحكم عليهما بذلك إذا اشتركا في الحرف والدلالة كعالم وعليم فإن عليا أبلغ من عالم وحيث وجد هذا المعنى يكون فاعل أبلغ من فاعل .. وأما فاعل وفاعل من حيث هما وزنان فلا يقال لهذا الوزن أنه أبلغ من هذا الوزن لكثرة وقوعه في الكلام فإنا إذا قلنا عالم وكاتب وضارب ولم يُبين من المواد الثلاث إلا عليم كان عليم أبلغ من عالم ولا يكون فاعل أبلغ من فاعل لانضمام كاتب وضارب إلى عالم وكل لفظين مختلفين أي اختلاف كان لا بد أن يختلف مدلولهما سواء وقفنا على ذلك أو لم نقف

عابه فان وضع الالفاظ للمعاني من وضع الله تعالى فلا بد أن يكون الاختلاف لحكمة
والا كان عبثاً فتعالى الله عن ذلك مع أن ما لا يوقف عليه قليل وقد يوقف عليه من لم
تعرف ومثال ما لم يوقف عليه التراب والبرا فانه يجوز أن يكون روعي فيه اختلاف
صفة حين التسمية ولم يوقف على ذلك ولعل العرب أو بعضهم يعرف ذلك لأنهم يتكلمون
بطباعهم ونحن نتكلم بالثقل عنهم

ومن البيان الأمر بضد المطلوب تهديداً للمأمور واستهانة به وقد ساء بعض الناس
خذلان المخاطب . ومنه قوله تعالى قل تمتع بكفرِك قليلاً إنك من أصحاب النار .
وقوله تعالى وقل للذين لا يؤمنون أعملوا على مكانتِك إنا عاملون وانتظروا إنا
منتظرون . ففي الأولى تهديد بالداروفي الثانية أبهم التهديد وهو أشد موقعا من التصريح
اذ لا يحيط بجميع أنواع العذاب وتفصيله . ومن ذلك ما جاء للتعجيز كقوله تعالى
قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم
صادقين ولا يتمونه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين . قوله تعالى - إن زعمتم -
وقد زعموا معناه - إن كنتم صادقين - وأمرهم بخي الموت وأخبر أنهم لا يتمونه وإذا
كان كذلك فهم عاجزون عن الإتيان بما أمرهم به . . وقد يكون الأمر اخباراً بأن
لا حرج على فاعل المأمور به كقول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه وما
يُدرِيك لعل الله اطاع على أهل بدر فقال لهم يا أهل بدر اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم
أو كما قال . . وقد يكون اخباراً بأن لا فائدة في فعل المأمور به كقوله تعالى اصبروا
أو لا تصبروا سوا لا عليكم

ومن البيان ما يستند الى الاشتقاق المعروف عند أهل النحوي اشتقاق الأفعال واسماء
الفاعلين واسماء المفعولين والصفات المشبهة وغير ذلك من المصدر على رأى البصريين
ومن الفعل الماضى على رأى الكوفيين . . والذي فيه من البيان اقامة الفعل الماضى مقام
المستقبل والمستقبل مقام الماضى وقد مرّ ذلك . . ومثل ذلك اقامة اللفظ مقام اللفظ
لما بينهما من الاشتقاق لغرض المبالغة أو غيرها نحو قولهم رجل عدلٌ ورجل رضى
اقامة لعدل مقام عادل ورضى مقام مرضى وما أشبه ذلك . . ونم معنى آخر لا يسميه

أهل النحو اشتقاقاً ومن أهل البيان من ساء الاشتقاق الأكبر وهو أن تكون المادة من الحروف كيف تقلبت اشتركت في معنى كالكاف واللام والميم فأنها كيف تقلبت دلت على القوة وقد يكون ذلك بأسباب التقلب وقد يكون بعضه دون بعض ولا يلزم ذلك في كل مادة . والبيان في ذلك أن يوثق باللفظ الأدل على المعنى المقصود والأنسب كما جاء في قوله تعالى وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا . وقوله تعالى في موضع آخر وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا . فانه لما قال تعالى - اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ - ناسب انفجرت ولما قال - اذ استسقاء قومه - ناسب فانبجست لأن استسقاء موسى عليه السلام أبلغ من استسقاء قومه والانفجار أبلغ من الانبجاس لأن بمقلوباته أمنس بلقاء من مقلوبات الانبجاس مع أن الفصحة واحدة والانفجار والانبجاس بمعنى واحد . وأما كون الاشتقاق نوعاً من الجناس والجناس أعم منه والبيان بالالفاظ المتنفة في الاشتقاق والتجنيس من أنواع البيان فليس ذلك من البيان في شيء اذ هو تحمين الالفاظ لا غير فهو من البديع ومن قصد شيئاً من ذلك إما أن يبقى المعنى على ما كان عليه من البيان أو ينقص بيانه لتكلف ذلك وليس في ذلك ما يزيد في بيان المعنى ومن قال ذلك فقد اشتبه عليه معنى البيان بالبديع

ومن البيان مراعاة الحروف ومعانيها ومواقع اللبس فيها واشتباه بعضها ببعض وهذا مما يحتاج الى الطباع الساجية والتدرب في معاني الشعر والخطب وما جاء من كلام العرب في مكاتباتهم الى غير ذلك مما استعملوه . ومن أعظم الاعوان على ذلك النظر في القرآن العزيز وتفسيره وتأمل معانيه وليس هذا مما يقدر على تعلمه كل أحد فان اجتماع الطباع الساجية والتبحر في العلوم قليل من يتفق له فانظر الى حروف المطف في قوله تعالى كَلَّا لَمَّا بَقِيَ مَا أَمَرَهُ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ إِنَّا أَنشَأْنَاهُ مِصْرًا ثُمَّ شَقَقْنَاهُ الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَحَدائقَ غَلًّا وَفَاكِهَةً وَأَبًا مِّنْعًا لَّسْكَمَ وَلَآئِن مَّحْكَمٌ فَاذْهَبْ إِلَىٰ الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَزَعُ مِنْهَا مَاءً لَّيْسَ بِزَبْدٍ فَالْهَبْ مِنْهَا شَرْبًا وَأَمَّا رَبُّ فَأَنْبَأْ بِهِنَّ وَأَخْبِرْ أَنَّ الْمَرْءَ لَمْ يَقْسْ مَا أَمَرَ بِهِ عَقَبَ الزَّجْرَ بِالْأَمْرِ

فأثنى بالفناء مستأنفاً للجملة الأخرى وتعقيماً للزجر بالأمر وتنبهاً على أن غفلة الانسان
 قد ينجي له سبب لأن يوعظ بالفناء ههنا دلت على الاستشفاف والتعقيب والنسب وعطف
 سبق الارض على صب الماء ثم اذ لابد بينهما من مهلة وقال - فأثبتنا - اذ انشقاق الارض
 بالنبات فلا مهلة بينهما ثم عطف النبات بعرضه على بعض بانوا لأن فيه ما يثبت بعرضه مع
 بعض وما يثبت بعرضه عقيب بعض وما يتقدم بعرضه على بعض ويتأخر من غير تعقيب .
 والواو تستعمل في هذه المواضع كلها اذ هي لجرود الاشتراك ثم قال - فاذا جاءت الصاخة -
 وليس وقت بحيثها عقيب ما قبلها فهي لتعقيب الوعظ بعرضه بعض اذ هو من توابع
 الزجر وليس في هذا العطف تعرض لتوالي الأوقات ثم قال - يوم يفر المرء من أخيه
 وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه - فعطف بالواو لأنه يفر من المفروق منه اذا لقبه ولقاؤه
 لهم قد يكون في وقت واحد وقد يكون في أوقات مختلفة والواو هي الجامعة لذلك كله
 وقدم الأخ على الأم والأب على الأب على الصاحبة والصاحبة على الأبناء انتقالاً
 من كل واحد الى من هو أعز منه وأشد حفاوة والأب وان كان كالأم أو مرجوحاً من
 جهة البر فإنه يرجى نصره أكثر من الأم والحفاوة على الرجال أشد منها على النساء
 وآخر الصاحبة عنه وان كانت لا يرجى نصرها لزيادة الأس وانودة التي جعل الله بينهما
 وآخر البنين عنها لأنهم الغاية والنتيجة وزيادة حبه بالطبع على كل أحد . وانظر الى
 حروف الجر في مثل قوله تعالى وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين . استعمل
 - على - بالنسبة الى الهدى و - في - بالنسبة الى الضلال مع أن كل واحد منهما يجوز أن
 يقال فيه - على - وفي - لأن الهدى من الله والله الهادي والهاد على طريق الهدى
 فكل من هدى ودل فهو على الهدى ولا يوصف أحد بأنه فيه الا لقربه وعلو مرتبته
 وهذا لا يكون الا للآحاد ممن يشاء الله فاستعملت - على - لشمولها وأما الضلال فيوصف
 به من ضل عن الهدى ومن لم يهتد بعد وهو مما ينسب الى الانسان على سبيل الأدب
 مع الله فالضلال محيط بالضلال بالطبع حتى يهديه الله ففي هنا استعملت لأنها أبان عن على
 وأيضاً فإن الزديد ههنا في الظاهر وأما في نفس الأمر فالمشركون هم في الضلال
 منغمسون غاية الانغماس فتكون - في - أنسب . وقوله تعالى ولأصْلَبْنَكُمْ في جذوع

التخل . ولم يقل على لأن - على - تقتضى العلو - وفي - تقتضى الظرفية والمصلوب
بالنسبة الى أعلا النخلة وأسفلها - في - وبالنسبة الى جانبيها - على - والمصلوب من الممكن
أن يجعل في خشبة فوق النخلة ولا يمكن أن يجعل في جوفها فكانت - في - هاهنا
أولى من - على - لعدم اللبس ومثل هذا في الأدوات كثير

ومن البيان التكرير وينقسم ثلاثة أقسام . تكرير اللفظ والمعنى . وتكرير اللفظ
دون المعنى . وتكرير المعنى دون اللفظ . . أما تكرير اللفظ والمعنى اذا لم يكن بين أفراد
المكرر تفاوت أصلاً فهو مجرد التوكيد . . فمن ذلك تكرير الكلمة الواحدة كقولك جاء
جاء زيد أو جاء زيد زيد والتوكيد لرفع اللبس فقد يكون بالنسبة الى ما في نفس السامع
أو الى ما في نفس المسمع أو الى ما في نفسيهما أما في نفس السامع فهو أنه لم يسمع
وأما في نفس المسمع وهو ظنه أن السامع لم يسمع وقد سمع وأما في نفسيهما فهو أن يكون
اللفظ محققاً للمعنى والحقيقة فيكون التكرار لمثل ذلك لأن المجاز والحقيقة يكونان
بالنسبة الى كل واحد منهما وما يناسب ذلك . . ومن ذلك تكرير أكثر من كلمة . فنه
ما جاء في سورة الشعراء من قوله تعالى إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين
وإن ربك لهو العزيز الرحيم . . أما التكرير فلاجل الوعظ فإنه قد يتأثر بالمكرر من
لم يتأثر للمرة الواحدة . وأما مناسبة قوله - أن في ذلك لآية - فذلك لظهور آيات
الأنبياء عليهم السلام والتعجب من تخلف من لم يؤمن بآياتهم مع ظهورها . وأما
مناسبة قوله - العزيز الرحيم - فإنه تعالى نفي الايمان عن الأكثر ودل بالمفهوم على
ايمان الأقل فكانت العزة على من لم يؤمن والرحمة لمن آمن وهما مرتبان كترتيب
الفريقين . ومثل ذلك ما في سورة الرحمن تعالى من قوله تعالى فبأى آلام يكافئكم الذين
فهم استفهام على سبيل التوضيح . ومثل ذلك أيضاً في سورة المراتلات من قوله تعالى
ويل يومئذ للمكذبين . للتهديد . ومن ذلك قوله تعالى إن مع العسر يسراً إن مع
العسر يسراً . فقد نكر العسر مرتين واليسر مرتين . وقال النبي صلى الله عليه وسلم
لن يفتنن عسر يسرين . فعنى ذلك أن اليسر كره نوكيداً لكونه مع العسر وأما
العسر فكرر ضمناً لليسر فانفظ العسر مكرر ومعناه ليس مكرر فهو عسر واحد ولذلك

عرف باللام واللام للطبيعة وليس تكراره للتوكيد بخلاف البسر فإنه ككرر توكيداً لكونه مع العسر حيث وجد وذلك من لطف الله ورأفته بخلقه . وما يدل أيضاً على تكرير لفظ البسر ومعناه معاً كونه نكرة لأن النكرة تطابق آحاداً كثيرة وطبيعة الجنس لا تأتي لها . وأما ما تكرر لفظه دون معناه فكقوله تعالى وجزاه سيئة سيئة مثلها . هاهنا اللفظ مكرر والنصار المبنى عليه باذن الله تعالى عدل وانما سميت سيئة لكونها جزاء السيئة فقوله تعالى - سيئة مثلها - لا يقوم ههنا غيرها مقامها لأن مراده تعالى الماثلة في الجزاء من كل وجه فلو قال سيئة ولم يقل مثلها لم تفهم الماثلة التي هي عين العدل ولو قال مثلها ولم يقل سيئة احتمل أن تكون الماثلة من غير جنس أو في بعض الأوصاف كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا العبيد وأنتم حرّم ومن قتله منكم متعمداً جزاءه مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم . فهذه الماثلة من كونها جزاء ومثابته في بعض الأشياء وكذلك أسندها الى حكم العداين لتطرق المنازعة في المثلية بخلاف ما اذا قطع انسان يمين انسان فان قبالة ذلك قطع يمين القاطع ولا يفتر الى عدلين . ومن تكرير اللفظ دون المعنى قول أنى منصور الثعالبي

واذا البابل أفصح بلغاتها فانف البابل باحتساء بابل

لأن الأول جمع بابل وهو الطائر المعروف والثاني جمع بابل وهو الهم بختلج في الضمير والثالث جمع ببلبة الابريق يشرب منه الخمر فأطلق اسمها على الخمر وهذا من ملبح التجنيس . والذي يقبح تكراره كقول المتنبي

فقلقت بالهم الذي قلقت الحشا قلاقل عيش كاهن قلاقل

فان كل قلقة فيه واحدة . . وأما تكرير المعنى دون اللفظ فكقوله القائل أظنى ولا تمصني الجملتان أمر ونهى معناه واحد لأن الأمر بالشئ نهى عن ضده والمعصية ضد الطاعة لكن النهى يستغرق والأمر لا يستغرق وقد يستغرق فإذا أراد بقوله أظنى للاستغراق كان قوله بحد ذلك ولا تمصني تبيناً لهذا المعنى ونهياً لطلب الطاعة الجزئية في الأمر المخصوص . . وأما الالفاظ المترادفة فإنها بالفرض الفاظ مختلفة على معنى واحد وهذا قد تقدم القول عليه انه لا بد من تمايز بين معاني الفاظ المختلفة على شئ واحد

سواء اطلعنا عليه أو لم نطاع . ومن ذلك قوله تعالى ومن يُطع الله ورسوله ويخش الله
ويته قأولئك هم الفائزون . والخشية والخوف والتقوى تستعمل بمعنى واحد . ومنه
قول أبي العلاء المعري

تَفَنَّنَ عَلَى أَكْنَافِ أَبْطَالِهَا الْقَنَا وَهَابَتِكَ فِي أَعْمَادِهِنَ الْمَنَاصِلُ

وهابتك وخافتك بمعنى فنتسب الخوف والتقوى الى هذين الجاهدين لا يختلف وأما
الخشية والتقوى في الآية وإن كان غالباً لا توجد احداهما دون الأخرى فإن الخشية
قد توجد للضعيف الرأى والعقل ولا ينقى ما خشيه فيكون تكرارهما في الآية
لهذه الزيادة في المعنى

ومن البيان التاسب وهو في الالفاظ وفي المعاني وأكثر ما يحتاج اليه في الالفاظ
لان المعاني التي نطلب لا يلزم فيها ترتيب ولا مناسبة فإن المتكلم قد يفتقر الى ذكر
الاشياء المناقضة والمتضادة والمتغايرة والمتافرة وحيث لا يفتقر الى شيء من ذلك فهو
التناسب فكانه مضطراً الى ما يأتي به اذا كان مراداً . فأنذكر تناسب الالفاظ الذي هو
معين على بيان المعاني . فنه المقابلة وهو أن يذكر الشيء ثم يقابله بمناسبه أو ضده .
والمقابلة بالضد هي التي يسميها جمهور أئمة البديع المطابقة . فأما المقابلة بالنسب فكقوله
تعالى الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا
واليه المصير . قابل في هذه الآية بين ربنا وربكم . وبين لنا أعمالنا ولكم أعمالكم .
وبين بيننا وبينكم . وربنا وربكم معناه واحد وهو الله تعالى فبالمقابلة بين النسبتين
والمقابلة بين لنا أعمالنا ولكم أعمالكم . من ثلاثة وجوه . لنا ولكم وجه .
وأعمالنا وأعمالكم وجهان . الأعمال ونحن وأنتم والأعمال غير الأعمال وإن شملنا اسم
واحد وهاتان المقابلتان في الانبات . وقوله لا حجة بيننا وبينكم . البين هاهنا كالأعمال
والضمير المضاف اليه كالضمير المضاف اليه في الأعمال والمقابلة للعامة ثم بين الابناتين
وهو لنا ولكم والمقابلة هنا بين النفيين نفي الحجة عنا ونفي الحجة عنكم لكن هذه
المقابلة معنوية ليست لفظية اذ لفظ الحجة واحد وأبداء هذا الكلام قوله تعالى
- الله ربنا وربكم - وختمه - الله يجمع بيننا واليه المصير - وفي هذا اشارة الى أن

الامر لله أولاً وآخراً وأتى باسم الله ثانياً مظهراً ولم يأت به مضمراً للتعظيم ووحده
اللين في قوله تعالى - يجمع بيننا - مناسبة لقوله يجمع وهذه من المناسبة المعنوية التي هي
المقصود في البلاغة والبيان وكل بقوله - واليه المصير - ليعلم أن الجمع المراد في المعاد
وحين المجازاة على الأعمال وأتى بالضمير ولم يأت بالظاهر نصياً لتوهم المغايرة بين الجملتين
ومنه قول الشاعر

فجأوا عارضاً برداً وجشاً	كئيل السيل نركبوا وزرعينا
فنادوا يال بهتة اذ رأونا	فقلنا أحسن ضرباً جهينا
فلما لم ندع قوساً وسهماً	مشينا نحوهم ومشوا إلينا
تلاؤهم مزنة برقت لأخرى	إذا حجابوا بأسيف ردينا
شدنا شدة فقتل منهم	ثلاثة فتية وقتل قينا
وشدوا شدة أخرى فجرؤوا	بأرجل منهم ورموا جويينا
وكان أخى جوين ذا حفاظ	وكان القتل للفتيان زينا
فأبوا بالرماح مكسرات	وأبنا بالسوف قد أنحنينا
فباتوا بالصعيد لهم أجاج	ولو خفت لنا الكلى سرينا

قال في البيت الأول - فجأوا عارضاً برداً وجشاً كئيل السيل - فقابل بين سيئين متماثلين
وشبههما بشيئين مختلفين لما بينهما من الاشتراك في أن كل واحد منهما لا يرتد وبين
ما أراد بقوله - نركبوا وزرعينا - وهذا من الاختصار البليغ والمشبه بهما وإن أراد
به ما اجتماع فيه وإن كانا مختلفين فهما من جنس الماء واختلافهما في الاسم وشبه أحدهما
بأداة التشبيه والآخر بغير أداة التشبيه لكن أتى بقوله - كئيل - والكاف بمعنى مثل
فكانه قال مثل مثل ومثل مثل الشئ هو هو فصار معنى قوله جأوا عارضاً وجشاً سبلاً
وكان آتيانه بالأدوات اقامة للوزن ثم قال

- فنادوا يال بهتة اذ رأونا فقلنا أحسن ضرباً جهينا -

معنى نادوا وقلنا واحد في مقصوده واللفظ مختلف وكذلك قوله - يال بهتة - وقوله
أحسن ضرباً جهينا - معناها واحد واختلفا بالتقديم والتأخير والاضمار والاعظهار

فان معنى قوله - يال بهتة - يال بهتة أحسن ضرباً فأحسن ضرباً فيه مضمر وهو متأخر في الرتبة ومعنى قوله - أحسن ضرباً جهيناً - يال جهينة أحسن ضرباً فأخر المتقدم وقدم المتأخر ولم يضر وكان في ذلك اقامة للوزن وترك للتكرار فان التكرار عملاً بحسن في كثير من المواضع وهذا التقديم والتأخير في هذا البيت والمخالفة أحسن من التكرار والموافقة لو ساعد الوزن ثم قال

- فلما لم ندع قوساً وسهماً مشينا نحوم ومشوا الينا -

المعنى في مشينا ومشوا واحد واللفظ واحد واختلفا في ضمير الفاعل وهو أمر ضروري ومعنى نحوم والينا واحد واللفظ مختلف وفيه من العذر والحسن ما في ما قبله وفي قوله - لم ندع قوساً وسهماً مشينا نحوم ومشوا الينا - تقابل أيضاً من جهة المعنى وطباق وان لم يذكر لفظه فإنه قال لما أفدينا العدة التي يقابل بها من البعد تقاربنا لتقابل بالعدة التي يقابل بها من القرب فهذه مقابلة بين البعد والقرب وطباق من حيث ان القرب والبعد ضدان وهذا التقابل والطباق مفهوم من خوى اللفظ لا من ظاهره ثم قال - ثلاثون مزنة برقت لأخرى - كانه قال برقت لثلاثة فاعنى أيضاً واحد واللفظ متعاير والتلاؤ والبريق المراد به نسبة كل فرقة الى الاخرى والبرق يحدث من تصاك اجرام السحاب فقوله - برقت لأخرى - يجوز أن يريد به لتصادمهما - والحجل والرديان - ضربان من السير غير أن الرديان أسرع من الحجل وأقل كلفة فهو دليل على تفضيل الشاعر قومه بما يدل على الشجاعة لكنه فضل المقاتلين لهم بالابتداء فلم يخرج عن الانصاف ثم قال

- شددنا شدة فقتل منهم ثلاثة فتية وقتل قينا -

- وشددوا شدة أخرى فخرؤا بأرجل مثلهم ورموا جويناً -

- وكان أخى جوين ذا حفاظ وكان القتل للفتيان زينا -

وفي هذه الايات الثلاثة مقابلة بين القتل وعدد القتل وهو سواء الا أنه رجح قومه بالابتداء في الشدة ورجح أخصامه بقتلهم لجوين اذ وصفه بالحفاظ فكان في قوله - وكان أخى جوين ذا حفاظ وكان القتل للفتيان زينا -

ترجيح لخصامهم ورتاء لآخيه وإقامة عذره مع أنه قتل وهذا من أحسن الشعر وأبلغ الكلام ثم قال

- فأبوا بالرماح مكسرات وأبنا بالسيوف قد انحنينا -

- وباتوا بالصعيد لهم أجاج ولو خفت لنا السكلى سرينا -

ومراده في هذين البيتين النسوية بينهما من كل وجه وإنما أُلجأ إلى المخالفة بين الالفاظ وزن الشعر والجواب عن توهم المفاضلة من جهة اللفظ أما تقديم إياب أخصامه الذى يدل على الضعف فإن الواو تفتى التشريك وحقيقة التشريك المعية فهو مراده ولم يرد التقدم فى الزمان وأما تكسير رماح الأخصام وانحناء سيوف قومه يوم تفضيل قومه لأن المقاتل بالسيف أشجع من المقاتل بالرمح لكن الرماح والسيوف هى غالب سلاح العرب وهى سلاح قومه وسلاح أخصامهم ولا يقاقل صاحب السيف به إلا بعد قتاله بالرمح فتكسر رماح أخصامه وقتل قومه بالسيوف حتى نحت دليل على تكسير رماح الفتيين وتقاتلهم بالسيوف حتى نحت وكذلك الإجاج إنما هو من الإعياء والجراح فهو مقابل للتصريح بالكاوم وامتناع السرى للكلم مبيت فقد سوى بين الفتيين فى الإعياء والكلم والمبيت وهو غرضه وإن اتفق فى اللفظ ترجيح ما لأخصامهم فذلك لشدة انصافه وتحرزه من الجور فى ترجيح قومه والمناسبات ومحاسنها ولطائفها كثيرة وحصرها مشق مطاقاً ومقيداً بالمقابلات بل يكاد يكون متعذراً على كل واحد واحد من البشر وذكر الكثير منه لا يلبق بهذا المختصر لكن نذكر شيئاً مما ذكر وبحت فيه بحيث لا يكون محلاً للاختصار ولا تكون محلين بشئ مما يقتضيه التقسيم المذكور فى موضعه .. ومن ذلك قوله تعالى إن تكونوا تأمنون فإنهم يأمنون كما تأمنون وترجون من الله ما لا يرجون . حصل أولاً المماثلة فى المتقابلين من كل وجه يفقد وثانياً التناقض فى المتقابلين وهما - ترجون ولا يرجون - وهو اللفظ الذى يلجأ فى تفسير النقيضين إليه وفى الآية أيضاً المقابلة بين - الألم والرجاء - وهما متغايران لكن المؤلم مكروه والمرجو محبوب فالمقابلة بينهما للنضاد وفى مقابلة المقابلة الأولى بالمقابلة الثانية ترجيح لآلم الكفار فإن الألم ولا رجاء أشد من الألم مع الرجاء ولا يقال قد شبه ألم الكفار بألم المؤمنين وذلك

يقتضى ترجيح ألم المؤمنين لانا نقول ألم المؤمنين مشروط بان والمشروط بان غير مقطوع
بوقوعه وألم الكفار مؤكداً بان لتحقيق وفي ذلك ترجيح ظاهر لا يقابله ما ذكر
من المشبه والمثبه به ولسان المدح وبلاغه المنطق بعجزان عن الاحاطة بكنهه محاسن
هذه الآية واعجازها بل عن كل آية فعلى الله عما يقولون علواً كبيراً . . . ومن عيوب
المقابلة مقابلة الشيء بما لا يناسبه ولا يضاده ولا يناقضه في لفظ ولا معنى كقول الكميت
وقد رأينا بها حوراً منقمةً بيضاً تكامل فيها الدل والشب

فانه جمع بين - الدل والشب - ولا جامع بينهما من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى والعيوب
كثيرة أيضاً ولا حاجة بنا الى تفصيلها غير أن من حصلت له ملكة في علم البيان عرف
كل شئ منها اذا وقع

ومن البيان التقسيم والتقسيم يكون تارة للواقع فيما الانسان بصده ولا يلزم فيه
استيعاب وتارة يكون التقسيم مقصوداً منه الخصر وهو على ضربين حصر الموجود وحصر
الممكن في العقل وان لم يكن موجوداً وحصر الموجود هو الواقع وهو الذي يكثر
استعماله في البيان . . . وأما حصر الممكن العقلي فيحتاجه أرباب العلوم العقلية الالهية
والطبيعية والرياضية والمنطق وهو محتاج اليه في موضعه وعليه نبى البراهين وفي كثير
منه غموض بحيث لا يصل اليه من الازهان الاقليل فكيف لا يكون من علم البيان .
ومثاله في تقسيم الكلام الى ما يصح أن يخبر بمدلوله ويخبر عنه وما لا يخبر به ولا عنه
وما يخبر عنه ولا يخبر به وما يخبر به ولا يخبر عنه فافضت القسمة الممكنة في العقل
أربعة والموجود منها ثلاثة ما يخبر به وعنه وهو الاسم وما لا يخبر به ولا عنه وهو
الحرف وما يخبر به ولا يخبر عنه وهو الفعل وليس في الكلام ما يخبر عن مدلوله ولا
يخبر به فيكون المحتاج اليه في تقسيم الكلام ثلاثة أقسام الاسم . والفعل . والحرف . . . وأما
تقسيم ما المتكلم بصده غير محتاج الى حصر الموجود فكنتقسيم الفعل بالنسبة الى
الزمان الى ماض وحاضر ومستقبل وكتقسيمه بالنسبة الى صيغة الى ماض ومضارع
وأمر مع أن الفعل ينقسم الى ماض معنى وصيغة ومعنى لاصيغة كالنفي بلم ولما والمضارع
يشتمل على حاضر ومستقبل وماض وتفصل بينها القرائن فالماضي كالنفي بلم ولما والحاضر

كالمقيد بالآن وما في معناه . والمستقبل كالمقترن بالبين وسوف . والنهي بلن . والفعل
المستقبل ينقسم الى مضارع وأمر ووضع المضارع منه للاستقبال ووضع الأمر للطلب
ويستلزم الاستقبال . وانتشار التقسيم كذلك قد لا يكون المتكلم محتاجا اليه فلا يعاب
عليه عدم الاستيعاب . مثال التقسيم العقلي المتنوع للممكن قوله تعالى استغفر لهم
أو لا تستغفر لهم . فان الاستغفار وعدم الاستغفار لا واسطة بينهما فهو حصر للممكن
ولا يقال إن العقل يحفل بأربعة أقسام فان الجمع بينهما محال وعدمهما محال إذ لا يمكن
اجتماع التقيضين ولا ارتفاعهما . . . ومن التقسيم البديع المتنوع الموجود قوله تعالى
ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسهم وممن مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات فالظالم لنفسه بمن أورد الكتاب هو المنقرط في الاكثر من الكتاب
- والمقتصد - هو الذي حافظ على البعض وفرط في البعض - والسابق بالخيرات - هو
الذي حافظ على الكتاب كله أو أكثره وتحديد ذلك عند الله ولم يفصله لنا فالتقسيم
مستوعب الموجود ولا يلزم من امكان التقسيم الى أكثر من هذه الأقسام أن لا نكون
هذه الأقسام مستوعبة لدخولها تحت هذه الأقسام الثلاثة فان قيل ان الذين أوردنا
الكتاب هم المصطفون من العباد فكيف يكون منهم ظالم لنفسه قلنا المراد من المصطفين
القيس والاعراض لا الآحاد وإذا لم يلزم الاصطفاء لكل واحد واحد أمكن أن يكون
الظالم لنفسه من الآحاد وفي القرآن من التقسيم الذي لا يستوعب الموجود كثير والقرآن
معجز فكيف يقال فيه نقص من جهة التقسيم . ومنه قوله تعالى والله خالق كل دابة
من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع
مع أن في الدواب ما يمشي على أرجل كثيرة غير ذلك . . . ومن التقسيم قول الشاعر
فقال فريق القوم لا وفريقهم نعم وفريق لمن الله ما ندري
وهذا مستوعب الموجودين من القائمين المذكورين وفي الامكان أن يكون في القوم من
قال ذلك كله

ومن البيان التفسير وهو أن يذكر المؤلف ناظما كان أو نائرا أشياء مرنية ثم يفسرها
فالمحمود منه أن يكون التفسير مرتباً ترتيب المفسر فان خالف بين التفسير والمفسر في
(١٣ - أقصي)

الترتيب أخذ عليه ما لم يكن ذلك لمعنى .. ومما يخالف فيه الترتيب النظم لضرورة الوزن والقافية فيعذر فاعله . وقد يخالف الترتيب لمعنى غير النظم فتكون المخالفة أولى من الترتيب . ومنه قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم هدى إيانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون . المراد التخويف من هول ذلك اليوم فلما وصف الحال فيه قدم الأشرف فقال - يوم تبيض وجوه وتسود وجوه - ثم صرح بالتخويف فبدأ به في التفسير لأنه المهم والمقصود في هذا المقام وآخر - الذين ابيضت وجوههم - وختم الآية بالرحمة اشعاراً لشمولها .. ومما جاء مرتباً في القرآن العظيم قوله تعالى يوم يأتي لا تكلم نفس إلا بأذنه فمنهم شقي وسعيد فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير محذوف . قيد في هاتين الآيتين الخلود بدوام السموات والأرض واستثنى ما شاء وأخبر أهل السعادة أن عطاءهم غير محذوف عناية بهم واحساناً إليهم وقال عند خلود أهل الشقاء - إن ربك فعال لما يريد - ففي ذلك تنبيه على سعة رحمته وإطعام في عفوه وذلك مما يزيد في عذاب المعذب فإن اليأس مرجح وفي ذلك لهم راحة من وجه وتعب من وجه .. ومن ذلك ما جاء في الشعر كقول الشاعر وقد قتل أخوه ابنه فأثى به ليقص منه فأطلقه

أقول للنفس نساءً وتعزيةً إحدى يدي أصابتنى ولم ترد

كلامها خلف من فقد صاحبه هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي

والمفسر في هذين البيتين ليس فيه ترتيب في اللفظ فانه جمع بين أخيه وابنه في قوله - إحدى يدي - وقوله - كلامها خلف - لكن الحى الحاضر أخوه والميت الغائب ابنه فالحاضر الحى مقدم في المعنى فلذلك رتبته فقال - هذا أخي وذا ولدي - ومن ذلك قول عبد الله بن همام

رَأَيْتُكَ تُقَعِّى مَنْ يُوَدِّكَ قَابَهُ وَتَدْفِي الَّذِي يَطْلُو الْأَذَى فِي الْجَوَانِحِ (١)
 وَقَدْ بَسْتَعَشُّ الْمَرَّةَ مَنْ لَا يَفْشَهُ وَيَأْمَنُ بِالْغَيْبِ أَمْرًا غَيْرَ نَاصِحٍ
 وَمِنَ الْبَيَانِ التَّوَكُّيدَ وَعَدَمَهُ وَيَكُونُ فِي الْخَبَرِ وَالْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْحَاجَةِ إِلَى التَّوَكُّيدِ
 فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ أَشَدَّ وَيَكُونُ التَّوَكُّيدُ فِي الْخَبَرِ بَانَ وَبِالْإِلَامِ وَفِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ بَانُونَ •
 وَمِنْ شَأْنِهِمْ أَنْ يَجْهَرُوا بِالْفِعْلِ الْمَاضِي عَمَّا وَقَعَ إِذَا لَمْ يَقْصِدُوا التَّوَكُّيدَ وَإِذَا قَصَدُوا أَخْبَرُوا
 عَنْهُ بِالْجُمْلَةِ الْأَسْمِيَّةِ الْمُؤَكَّدَةِ بَانَ كَقَوْلِهِمْ قَامَ زَيْدٌ وَإِنْ زَيْدًا قُلْتُمْ وَإِنْ احتِجَّ إِلَى زِيَادَةِ
 تَوَكُّيدٍ قَبْلَ أَنْ زَيْدًا لِقَائِهِمْ وَقَدْ تَوَكَّدَ الْجُمْلَةُ الْفَعْلِيَّةُ بِقَوْلِهِمْ لَقَدْ • وَإِذَا احْتِجَّ إِلَى أَكْثَرِ
 مِنْ ذَلِكَ أَتَى بِالنَّسَمِ مَعَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْجُمْلَتَيْنِ • وَقَدْ تَوَكَّدَ الْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ بِالْإِلَامِ فَقَطَّ
 فِي قَوْلِهِمْ لَزَيْدٍ قَائِمٌ • وَقَدْ تَجَيَّ • قَدْ - مَعَ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ مَضْمُورَةٌ بَعْدَ الْإِلَامِ فِي مَثَلِ
 قَوْلِ أَمْرِ الْقَيْسِ

• كُنَّا مُوَا فَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي •

وَقَدْ جَاءَ فِي الْفَرَّانِ الْعَزِيزِ قَوْلُهُ تَعَالَى فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ
 أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَتَيْهَا الْعَمِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ • لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ أَحْوَالِ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 لَمْ يَكُنْ مُحْتَاجًا فِي الْخَبَرِ إِلَى تَوَكُّيدٍ فَقَالَ - جَهَّزَهُمْ - وَجَعَلَ - وَأَذَّنَ - مِنْ غَيْرِ تَوَكُّيدٍ
 وَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَعْظُمَ الْأَمْرَ عَلَى إِخْوَانِهِ لَمْ يَقُلْ سَرَقْتُمْ وَقَالَ - إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ - وَهَذِهِ
 الْقَضِيَّةُ وَإِنْ كَانَتْ مُؤَكَّدَةً فَلَيْسُوا فِيهَا بِسَارِقِينَ فَيَقَالُ كَيْفَ جَازَ أَنْ يَقَالَ لَهُمْ ذَلِكَ
 فَالْجَوَابُ أَنَّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجُوزُ أَنْ كَانَ يَعْلَمُ بِهِمْ سَرَقَةً فِي وَقْتٍ آخِرٍ أَوْ يَجُوزُ
 فِيهَا فَعَلُوهُ مِنْ بَيْعِهِ وَأَخَذَ مِنْهُ بِاطِّلا فَمَاءَ سَرَقَةٍ • وَجَاءَ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى أَفَرَأَيْتُمْ مَا
 تَحْرُثُونَ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَنَنْتُمْ تَفَكَّهُونَ •
 فَوَكَّدَ بِالْإِلَامِ • وَقَالَ فِي الْمَاءِ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُجَاجًا • مِنْ غَيْرِ تَوَكُّيدٍ لَمَّا كَانَتْ الْحَاجَةُ

(١) وَجَدَ فِي صَاحِبِ النُّسخَةِ الْبَيْتَانِ الْآتِيَانِ وَعَلَيْهِمَا عِلَامَةُ الشُّطْبِ وَبِالْهَامِشِ الْبَيْتَانِ

الَّذَانِ الْحَقْنَاهُمَا بِالْأَصْلِ وَعَلَيْهِمَا عِلَامَةُ الصَّحَةِ

السِّيفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ فِي حُدُودِ الْحُدُودِ بَيْنَ الْجَدِّ وَاللَّعِبِ

بَعْضُ الصَّفَاحِ لِأَسْوَدَ الصَّغَائِفِ فِي مُنَوِّنِهِمْ تَجَلَّاهُ الشُّكُّ وَالزَّيْبُ

الى الاكل أشد من الحاجة الى الشرب وقد قيل ان الماء يمكن الاستغناء عنه بما في
الاطعمة من الرطوبة وبؤيد ذلك ان في الحيوان ما لا يشرب وليس في الحيوان
ما لا يأكل فكان التوكيد في مع الطعام أشد عليهم من التوكيد في منع الشرب
ومن البيان التفريط إهالا والافراط اهتماما والاقتصاد وهو الاعتدال المتوسط بينهما
• والتفريط ان يكون اللفظ قاصراً عما تضمنه من المعنى • والافراط ان يكون اللفظ أبغ
من المعنى • والاقتصاد ان يكونا متساويين ومثال ذلك أن نقول زيد مثلاً من سفر
بأحوال وأمر فالتحيز عنه المفرط يقول قسم زيد ولا يصف أحواله وما جاء به والمقتصد
يقول قدم زيد ومن شأنه كذا وكذا من غير غلو والمفرط هو الذي يحيز بذلك ويبالغ
في تعظيمه وتعتيم أحواله بحسبها • ومثال ذلك كله قول عذبة بن شهاب حين فر
عن ابنه

* نَحَيْتُ نَفْسِي وَتَرَكْتُ حَزْرَةَ *

هذا الكلام مساو لمذلوله ليس فيه مبالغة ولا تفريط ثم قال

* نَعَمْ الْفَتَى غَادَرْتُهُ بِشْرَةَ *

هذا اخبار عن الموضع الذي غادره فيه فمدحه مع ذلك فقال - نعم الفتى - مفرطاً في
تقبيح فعله به ثم قال

* لَنْ يَتْرَكَ الْمَرْءُ الْكَرِيمُ بَكْرَهُ *

مفرطاً في ذم نفسه على ما فعل فإن المساوى لذلك أن يقول اللئيم من ترك بكره • وقد
ينتهي الافراط الى الاحالة أو ما يقرب منها وذلك مما ينفرد • مثال الاحالة قول المتنبي

وَضَاقَتِ الْأَرْضُ حَتَّى كَادَ هَارِبُهَا إِذَا رَأَى غَيْرَ شَيْءٍ ظَنَّهُ رَجُلًا

لأن رؤية غير شيء محال • ومثال ما هو قريب من الاحالة قوله أيضاً

وَلَوْ قَلَمُ الْقَيْتُ فِي شِقِّ رَأْسِهِ مِنْ الشَّقْمِ مَا غَيَّرْتُ مِنْ خَطِّ كَاتِبٍ

وقد عد بعضهم قول أبي تمام

مَا زَالَ يَهْدِي بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَا حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ مَحْمُومٌ

تفريطاً من كونه قال - يهدي - وشبهه بالمحموم وذلك ليس تفريطاً وإنما هو سوء أدب

في حق المدح وأما المعنى فهو من الإفراط المقارب للإحالة . وأما ما نسب إلى عنزة في قوله

وَأَنَا الْمَنِيَّةُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا وَالطَّمَنُ مَنَى سَابِقُ الْآجَالِ

من الإفراط فليس بشئ فإنه لم يفرط ولم يأت بما يعاب عليه فإن قوله - وأنا المنية - من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ومراده أنا سبب المنية والألف واللام في المواطن للمعهد فلا وجه للإفراط وقوله - والطمن منى سابق الآجال - معناه أن طمعى يستتبع موت المطعون والأجل محتم فكان طمعى سابقه إذ يقع قبله والأجل تابعاً له

ومن البيان تخلص الالفاظ بعضها من بعض والمعاني بعضها من بعض واجتناب اختلاطها وهو الذي أطلق عليه جمهور أهل البيان المعاظلة - والمعاظلة - مأخوذة من تعاطل الكلام والجراذق السفاد وهو التعلق الذي يعسر انفكاكه . فنال اختلاط الالفاظ بالتقديم والتأخير قول بعض الاعراب

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مُنْعَجٍ إِلَى وَسَلَمَى أَنْ يَصُوبَ سَحَابُهَا

لأن الترتيب أن يقال أحب بلاد الله أن يصوب سحابها إلى ما بين منعج وسلمي لا ألقي الصحيفة يا طريفة إني أخشى عليك من الجباء النقرس لأن النقرس خبر أن ومحله قبل - أخشى - وأما اختلاط المعاني بالتقديم والتأخير فكقول الشاعر

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْحَيِّ حَيًّا مُصَبَّحًا وَلَا مِثْلًا يَوْمَ النَّقْيَا فَوَارِسَا

أَكْرَى وَاحِيٍ لِلْحَقِيقَةِ مِنْهُمْ وَأَضْرَبَ مَنَا بِالسُّيُوفِ الْقَوَانِ

معناها لم أر مثلاً للحى أكرى منهم ولا مثلاً لنا أضرب منا نخلط المعنيين والالفاظ الدالة عليها وفي اعرابها إشكال وفيها شذوذ من بناء أفعال التفضيل مما ليس من الغراز . وقال قدامة التعاطل هو تداخل بعض الكلام فيما ليس من جنسه ولا أعرف ذلك إلا فاحش الاستعارة كقول أوس بن حَجَر

وَذَاتِ رِهْدَمٍ عَارِيَتْهَا تَصِمْتُ بِالنَّاءِ تَوَلَّيْتُ جَذْعًا

فسمى الصبي تولباً والتولب ولد الحمار هذا لفظ قديمة . . ومن العجب أنه عرف التعاقل
بلفظ يدل عليه وفسره بما لا يدل عليه وليس به

ومن البيان التضمين - والتضمين - مستعمل في علوم الأدب على أنواع . منها
تضمين القافية وهو أن تكون الكلمة التي هي آخر البيت متعلقة بالبيت الذي بعده
كقول بشر بن أبي خازم

وكعباً فسائهمُ والرَّبا بـ وسائل هوأزن عنا اذا ما

لقيناهم كيف نعليهم بواتر يفرين بيضاً وهاما

وذلك من عيوب القافية وليس من البيان في شيء . . ومنها أن يكون معنى البيت متعلقاً
بالبيت الثاني ولا يتم معناه إلا به كقول زهير بن أبي سلمى

لعمرك والخطوب مغيراتُ وفي طول المعاشرة الثقالى

لقد باليتُ مظعنٌ أمٍ أوفى ولكن أمٌ أوفى لا تبالي

وهذا أيضاً يختص بالشعر وأثره في البيان ضعيف . . ومنها أن الناظم أو الناثر يستعمل
كلام غيره في كلامه مع التنبية على أنه ليس له إنما استشهد به إلا أن يكون من الشهرة
بحيث لا يلبس بكلامه كالقرآن والاشعار المشهورة عند أكثر الناس وهذا مما يستحسن
في البيان كقول الخطيب عبد الرحيم بن نباتة في ذكر يوم القيامة « فيومئذ نفد
الخلائق على الله بهنما فيحاسنهم على ما أحاط به علماء وينفذ في كل عامل بعلمه حكماً

وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلمها . . ومنه قول ابن المعتز

ولا ذنب لي إن ساء ظنك بعد ما وفيت لكم ربى بذلك عالمُ

وها أنا ذا مستعجبٌ مستعجلٌ كما قال عباسٌ وأنفى رانمُ

نحملُ عظيمَ الذنبِ ممن نُحِبُ وإن كنتَ مظلوماً قتلُ أنا ظالمُ

وهذا البيت معناه فيما استعمله المضمين . . ومن أنواع التضمين ما معناه في الأصل غير
المعنى الذي أريد به حالة التضمين كقول الشاعر

يا سائلي عن خالدي عهدى به رطبُ العجان وكفه كالجلند

كالأقوان غداة غب سباه جفت أعاليه وأسفلته ندى

البيت للتأنيب في تشبيه الثغر فأخذه وصرف معناه الى هجاء خلد وهذا البيت لم يلبس
المضمن له على أنه مضمن لشهرته وشهرة قائله

ومن البيان الاستدراج وهو استمالة المخاطب بما يؤثره ويأنس اليه أو ما يخوفه
ويرغبه قبل أن يفاجئه المخاطب بما يطلب منه وهذا باب واسع وهو أن يقدم المخاطب
ما يعلم أنه يؤثر في نفس المخاطب من ترغيب وترهيب وإطعام وترهيد وأمزجة الناس
تختلف في ذلك فينبغي أن يستل كل شخص بما يناسبه وهذا لا يؤثر فيه التعليم الايسر
بل ينبغي أن يكون في مزاج الانسان قوة تؤديه الى ذلك وهي تصرف في الكلام
كتصرف الانسان في أحواله وأفعاله بما يعود عليه نفعه . ومن أحسنه موقعا وأشدّه
تلطفاً قوله تعالى اذهب الى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً لنا لعله يندكر أو يخشى .
فأمر سبحانه بالتلطف والاستدراج بقوله - فقولا له قولاً لنا - ثم قال تعالى قللاً ربنا
إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى . فأنهما
تعالى تم عليهما كيف يخاطبانه ففان تعالى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا
إسرائيل ولا تعذبهم قد جئتكم بالهدى والسلام على من أتبع الهدى إنا قد
أوحى اليك أن العذاب على من كذب وتولى . فقولهما - إنا رسولا ربك - نسبة
اليه ولم يقلوا إنا رسولا ربنا من التلطف البديع وقوله - ولا تعذبهم قد جئتكم بالهدى
من ربك والسلام على من أتبع الهدى - أيضاً غاية في التلطف فأنهما طلبا منه من
اسرائيل ولم يصرحا له بدعوته الى الايمان واخراجهم عما هو عليه وأسند ذلك الى
الآية استمالة له الى رؤيتها ثم قالوا - والسلام على من أتبع الهدى - ولم يقلوا له أتبع
على سبيل الامر ابتغاء لعظمته في نفسه ثم أتبعاه بما هو أشد وهو الذي قدم التلطف
بين يديه فقالا - إنا قد أوحى اليك أن العذاب على من كذب وتولى - وفي هذا أيضاً
تلطف اذ لم يخصاه به وذكراه على سبيل العموم الذي يستلزم دخوله فيه ثم قال تعالى
حكاية عن فرعون قال فن ربك يا موسى . ثم قال تعالى حكاية عن جواب موسى
عليه السلام اذ هو المسئول قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . فاجابه
بالجواب المطابق لسؤاله المتضمن لسكون ربهما ربه وذلك قوله - اعطى كل شيء خلقه

ثم هدى - ثم قال تعالى حكاية عن قول فرعون قال فما بال القرون الاولى . سأل عن أمر مغيب مهما أخبره به عنه يمكنه انكاره قصداً للمغالطة ولذلك لم يحبه موسى عليه السلام الا بقوله علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا يسى . وفى قوله - علمها عند ربى - ولم يقل عند ربنا ولا عند الله إشارة الى امكان علمه عليه السلام بهما ثم عدد عليه نعم الله وآياته تطفأ لاستمالته أيضاً بقوله تعالى الذى جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا واربعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى . فقوله بعد ما عدد من النعم بضمير الغائب وهو انتكلم به - فاخرجنا به أزواجاً - بضمير المتكلم الذى لا يجوز أن يكون المتكلم به عن نفسه الا الله اعلام لفرعون أن جميع ما قاته ثاك من الله وليس منى ثم عقب ذلك بذكر نفسه وإباحتها لهم وكونها آية لا تخفى على ذوى النهى ثم أعلمهم أنه خلقهم من الأرض برحمته ويعيدهم اليها بقدرته ثم يخرجهم منها للجزاء وذلك لعدله وبحكمته وفى هذا القول دليل على أن لا إله الا هو ولا رب غيره وهذا هو الذى لم يقاها به فرعون أولاً وتلطف به فى طريقه مع انه من لطيف الكلام

ومن البيان أن المتكلم يحصل فى ذهنه ما يؤول اليه كلامه فيضع أول كلامه دالا على آخره وقد يكون مستديماً لقوافى مخصوصة كما فى الشعر . . . ومنه قول بعضهم

ومستخبر عن سر ليلى رد دته بعيا من ليلى بغير يقين
يقولون خبنا فانت أمينها وما أنا إن خبرتهم بأمين

بنى اليتيم على ما أوقعه فى نفسه وهو قوله - وما أنا إن خبرتهم بأمين - بنادر ذهن السامع للبيت الأول وصدر البيت الثانى الى مجزء وفى البيت الاول أيضاً انتهى المعنى عند قوله - رد دته بعيا من ليلى - وكله بالقافية بقوله - بغير يقين - وفيه تأكيد لما مضى ويسمى مثل هذا اليفال وهذا من اصطلاح أرباب البديع وقد اختار بعض أهل البيان أن يسمى ذلك الارصاد . ومنه ما حكى أن جريراً أنشد بحضرة الفرزدق وفى عنقه الفرزدق حينئذ شيب أبياتا جاء منها * لها برص بجانب أسكنها *

فوضع الفرزدق يده على عنقه وقال قبحك الله قبل أن ينلفظ جريراً بمجر البيت وهو
 • كَصَفَقَ الفرزدق حين شابا •

وقد جاء في الكتاب العزيز كثير من ذلك أعني ما يتبادر الذهن فيه إلى خواهم الآي
 ولا ينبغي أن نسيه إرصاداً ولا إلهالاً وهو مثل قوله تعالى مثل الذين اتخذوا من دون
 الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت • يتبادر الذهن إلى أن
 خبر أن ليت العنكبوت إن لم يسمعه وليس من الفوائى ولا فواصل الآي • • وما يدل
 عليه فواصل الآي قوله تعالى كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها • يتبادر
 الذهن إلى أن يسمه قوله - عشية أو ضحاها - وإن لم يكن مسموعاً • وكذلك قوله
 تعالى إن هذا لى الصخر الأولى صخر إبراهيم وموسى • لسكون موسى على قافية
 الفاصلة الأولى • • ونتم أنشاء من أبواب البديع يمكن أن نرد إلى البيان بنوع من التكلف
 وأنا أذكرها جرياً على سنن من سبق من علماء الفن • • فن ذلك النوشيج وهو أن يبنى الشعر
 على قافية بوزن قصير ثم يزداد فيه ما يوصله إلى قافية أخرى بوزن طويل كقول بعضهم

إِسْلَمَ وَدُمْتَ عَلَى الْخَوَادِثِ مَارَسَى رُكْنَا نَبِيرٍ أَوْ هَضَابٍ حِرَاءِ

وَنَلَّ الْمَرَادَ مُمَكَّنًا فِيهِ عَلَى مَرَّةٍ الدُّهُورِ وَفُزَّ بِطُولِ بَقَاءِ

ولو وقف على ثير والدهور وأطلق القافية لكان أيضاً وزناً من أوزان الشعر صحيحاً
 وهو أول ضروب العروض الثلاثة من الكامل قاليت مجزوء وعروضه صحيحة وضربه
 مرقف والمكمل الضرب الثانى من العروض الأولى من الكامل قاليت واف وعروضه
 صحيحة وضربه مقطوع وزنه فعلاتن ويجوز فيه الأضمار فيعود إلى مفعولن والذي في
 هذا من البيان أن الشاعر يأتي بالمعاني مبنية مكملة معها تكلفه من لزوم ما لا يلزمه من
 الوزنين المذكورين • • ومن نوع النوشيج ما استعمله المتأخرون من الأراجيز التي هي
 بيتان يتان من مشطور الرجز أو السريع ويجمع كل بيتين منها بيت من وافي الرجز
 أو السريع وأكثر من عمل ذلك خلط الرجز بالسريع في القصيدة الواحدة ومنهم
 من احتز من ذلك بحيث تأتي قصيدته من الرجز فقط أو من السريع فقط • •
 ومنه الذى يسميه المتأخرون مواليبا وهو أول ضروب البسيط التزم فيه أن يكون

بشئ فقط مقفين وليس فيه من التوشيح الا التزام النقبة ولو زيد فيه على البينين لم يكن في ذلك حرج على من زاد . . ومنه الخمس وهو التزام ثلاثة أنصاف ليت على وزن صدره ورويه وقافته فيصير كل بيت بما أضيف اليه قبله خمس قطع أربع منها لا تختلف قوافيها والقطعة الخامسة مخالفة في الروى إلا أن يكون البيت مصرعاً أو مقفى فنصير الخمسة على قافية واحدة . والابيات الخمسة ان كانت موجودة قبل النخمس فهي متالية مستقلة بأنفسها وينبى أن تكون مع ما أضيف اليها متالية أيضاً فلو وضع خمس جملة في وقت واحد لزم أن يكون كل مصراعين من المصاريع الأخيرة يتبعان المصراعين اللذين قبلهما إن كانا حتى لو فصلت المصاريع الأخيرة كانت شعراً مستقلاً بنفسه تتوالى أبياته كتوالى الشعر فلو لم يراع فيه ذلك كان توشيحاً ولم يكن تخميساً . . ودو بيت مخرومة وغير مخرومة ومردفة وغير مردفة من ذلك إلا أنه ليس من أوزان العرب . . وكذلك موشحات المغاربة وأزجالهم وقرقيات المصريين وبلدياتهم وهذه الأنواع قد تكون من أوزان العرب وقد لا تكون وقد يكون بعضها دون بعض والموشح الذى يكون على أوزان العرب يسمى شعرياً وهذه الأنواع الأربعة كلها جارية على سن واحد إلا أن الموشح يلتزم فيه أن يكون جارياً على سن اللغة العربية إلا آخرجته وهى آخر قتل فيه فأنها تكون زجلية غالباً . . والزجل لا يلتزم فيه لغة عربية ولا اصراب بل هو على المنعة العامية من لغات أهل المغرب على اختلاف أصنافهم والموشح مركب من أقفال وحشوات . . والأقفال جميعها متساوية الأوزان والقوافى لا يخالف بعضها بعضاً . . وقد جرت العادة غالباً أن يبنى الموشح على ستة أقفال يبدأ فيه بقفل ثم يؤتى بعده بحشوة تشغل على فواصل وربما سميت أبياتاً تجوزاً كل واحد منها يشغل على وزن أو وزنين أو أوزان وقافية أو قافيتين أو قواف بحيث لا يخالف بيت بيتاً في وزن ولا في قافية وقد تختلف قوافى البيت الواحد وأوزانه وقد لا تختلف إلا أنه يلتزم فى الأبيات كلها مساواة البيت الأول فى قوافيه وأوزانه ثم يؤتى بقفل ثان على وزن القفل الأول وقافته اتحدت أوزانه وقوافيه أو تعددت ثم يؤتى بحشوة ثالثة على أوزان الحشوة الأولى وعددها لكن لا يلتزم قوافيها بل يخالف بينها حتى

لو جاء حشوتان على قواف واحدة لاستبشع ذلك وهذا حكم جميع الاقفال بعضها مع بعض والحشوات بعضها مع بعض .. وقد بينى الموشع على أن يبدأ فيه بالحشوة فيكون خمس حشوات وخمسة أقفال ويسمى الاقفرع .. والزجل لا تنقص أفعاله وحشواته عن عدد أقفال الموشع وحشواته فتجيء مساوية وتزيد .. وقد يكرر القفل الاول أو بعضه في الزجل بين كل حشوتين . فالمكرر ان كان بعض القفل لا يكون الا آخر القفل الذى بين الحشوتين ويسمى المكرر حينئذ مرثاً .. وأما القرقيبة والبليقة والفرق بينهما وبين الزجل أن الزجل متى جاء فيه الكلام المعرب كان معيماً والبليقة ليست كذلك فيجىء فيها المعرب وغير المعرب ولذلك سميت بليقة من البلق وهو اختلاف الألوان .. وتنفارق البليقة القرقيبة في أن البليقة لا تزيد على خمس حشوات غالباً وقد تنهى الى السبعة قليلاً وليست القرقيبة كذلك فانها تزيد كثيراً على حكم الزجل في ذلك وسميت القرقيبة قرقيبة من القرقة وهى لعبة يلعب بها صبيان الاعراب .. ومن ذلك السرقة وهى تنقسم الى النسخ والسلخ والمسح . فالنسخ أخذ كلام من تقدم سواء علم الآخذ أو لم يعلم فمن علم كان ملوماً على سرقة ومن لم يعلم فهو معذور وليس بسارق وقد سمي ذلك وقوع الحافر على الحافر وليس في هذين النوعين شئ من البيان غير أن الاول يدل على مهانة نفس فاعله وقلة همته فهو من العيوب فينبى اجتنابه والمعذور وغير المعذور مما اتفق له ذلك بظن غالباً ولا يعلم الا نادراً فمن عرف من حاله سلامة الباطن وشرف النفس كالعرب فينبى أن بظن به خير كطرفه بن العبد مع امرئ القيس ابن حجر في قوله

وقوافها صحى على مطيهم يقولون لاهلك أسى وتجلد

لم يخالف امرأ القيس الا فى - تجلد - فى موضع - تجلد - ولو كانت الغافية لامية لم يخالفه فيها بظن .. وأما من علم أنه أخذ وهو يعلم كالفرزدق حين سمع قول جرير ترى الناس ما سرتنا يسرون خلفنا وإن نحن أومأنا الى الناس وقفوا

فقال متى كان الملك فى عذرة انما هو فى مضر وأنا شاعرها فغلب عليه الفرزدق ولم يسقطه جرير من شعره وقد سعى هذا إغارة وكالفرزدق أيضاً حين سمع الشعر دل

ينشد في محفل

فما بين من لم يُعطِ سمعاً وطاعةً وبين نعيم غير حُرِّ الغلاصم
فقال له لندعه أو لندعن عرضك فقال له الشمر دل خذه لا بارك الله لك فيه وسمى
هذا النوع غصباً لأن الشمر دل تركه وجريه لم يترك بينه وفعل الفرزدق كهذه الفعلة
مع ذي الرمة في أبيات سمعها منه فقال له اياك واياها لا تعودن اليها فانا أحق بهامتك
فقال ذو الرمة والله لأعود فيها ولا أنشدك الا لك وهذا مما يصاب به الفرزدق وليس من
البيان في شيء هذا في شعر الأحياء * أما من أخذ من ميت فيسمى فعله الإِسطراف فان
صرفه على جهة المثل فيسمى اجتناباً واستلحاقاً وهو التضمين الذي لم يبه عليه ولم يك
مشهوراً لقائله وان ادعاه لنفسه فهو انتحال ولا يقال منتحل الا لمن هو أهل لمثل ما
انتحل والا فيسمى مدعياء * وأما السائح وهو ان يسبك المؤلف المعنى في لفظ يساوي
لفظ من تقدمه أو يكون أجود منه فان كان أجود منه فهو أحق به وان كان مثله
فلا بأس وهو أدنى درجات السائح وهذا من باب البيان والقدرة على التأليف وبدخل
فيه حل المنظوم ونظم المنثور * فنه النظر والملاحظة وهو تساوي المعنيين واختلاف
اللفظ كقول زهير

بَطْنُهُمْ مَا أَرْتَمُوا حَتَّى إِذَا اطْمَنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَقَا

* وقول عنزة

إِنْ يُجِجُوا كَرَرُوا إِنْ يَسْتَأْخِمْوا أَشْدُّ وَإِنْ يَنْفُوا يَضْئِكُ أَنْزِلِ

ومنه الالمام وهو أخذ المعنى من ضده كقول المتنبي

أَحْبُّهُ وَأَحَبُّ فِيهِ مَلَامَةٌ إِنْ الْمَلَامَةُ فِيهِ مِنْ أَعْدَائِهِ

أخذه من قول أبي الشيب

أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لَذِيذَةً مُحِبًّا لَذِكْرِكَ فَلَيْلَتِي الْوَيْلُ

* ومنه التباير وهو أخذ المعنى من ضده أيضاً ويخالف الالمام بأنه لم يستعمل فيه شيء

من ألفاظ المعنى الماخوذ منه وهو كقول حبيب بن أوس

يَقُولُ لِي الْأَمِيرُ بِغَيْرِ عِلْمٍ تَقَدَّمَ حِينَ جَدَّ بِهِ الْمَرَأْسُ

فقال ان أطمعتك من حياة ومالي غير هذا الرأس راس

وقول عمران

لمد إذا الحياة الى بغضا وحبا للخروج أبو بلال
أحازر أن أموت على فراشي وأرجو الموت تحت ذرى العوالى
فمن بك همه الدنيا فاني لها والله رب البيت قاني

فالغاية بين شعر حبيب وشعر عمران تمت بالبيت الأول من شعر عمران والثاني والثالث
زيادة مؤكدة للمعنى وكقول امرئ القيس

ولو أن ما أسى لأذنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكننا أسى لجدير مؤئل وقد بذرك المجد المؤئل أمئالى

وقال فى موطن آخر

إذا ما لم يكن لى فمضى كأن قرون جلتها عصي
إذا ما قام حالها أرنت كأن القوم صبتهم نى
فقد لا يتنا أقطا وسننا وحسبك من غنى شبع وورى

فشدد أولا ولم يقطع وسهل ثانيا وقع . . ومنه العكس وهو أن تعكس الالفاظ والمعنى
كقول أبى قيس وقيل أبى حفص البصرى فى الهجو

سود الوجوه لثيمة أحسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر

أخذه من قول حسان فى المدح

بيض الوجوه كريمة أحسابهم ثم الأنوف من الطراز الأول

هذا وإن أجاد فى أخذه بطريق العكس فقد أحال فى قوله لثيمة أحسابهم فإن الحسب
كرم الآباء وشرفهم فيستحيل أن تكون لثيمة لأنه يؤدى الى التناقض . . وفى قوله

الطرارز الآخر - لم يهيج فإن الطراز مانسج من الثياب للسلطان فلا ينقص فيه الآخر

عن الأول . . ومنه الاختلاس وهو أن ينقل المعنى من نوع الى نوع كنقله من نسب الى

هجم أو مدح أو غير ذلك لالى ضده كقول كثير فى النسب

أريد لأسى ذكرها فكانما تملى لى لبلى بكل سبل

اختلسه أبو نواس فقال في المدح

مَلِكٌ تَصَوَّرَ فِي الْقُلُوبِ مِثَالُهُ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ

وأما المسخ فهو أن يقصر فيه الثاني عن الأول وهو عيب إن علم ونقص في الطبقة إن لم يعلم وليس من البيان في شيء. والناقص في الطبقة قد يكون متقدماً وقد يكون معاصراً وقد يكون متأخراً ومن ذلك ما جرت العادة أن يسأل عنه ويبحث فيه كبيتى حاتم وبيتى عنزة في الكرم قال حاتم

وَإِذَا سَكِرْتُ وَهَبْتُ مَا مَلَكَتْ يَدِي مِنْ غَيْرِ إِشْفَاقٍ وَلَا إِمْلَاقٍ

وَإِذَا سَحَوْتُ وَعَاوَدْتَنِي هَمَّتِي أَصْبَحْتُ نَدْمَانًا لَتَرَكَ الْبَاقِي

وقال عنزة

وَإِذَا سَكِرْتُ فَاتَى مُسْتَهْلِكٌ مَالِي وَعَرَضِي وَأَفْرٌ لَمْ يُكَلِّمْ

وَإِذَا سَحَوْتُ فَمَا أَقْصَرُ عَنْ نَدَى وَكَمَا عَلِمْتَ سَمَائِي وَتَكْرَمِي

يقال إن حاتماً قال - وهبت - وعنزة قال - استهلك - والاسم لك قد يكون فيما لا يشكر الإنسان عليه وقال حاتم في البيت الثاني - أصبحت ندماناً لترك الباقي - وقال عنزة - ما أقصر عن ندى - ولم يذكر أنه ندم فشرح حاتم أبلغ في الكرم ويقال في قبالة ذلك أن عنزة لم يقتصر على قوله - استهلك مالى - بل أتبعه بقوله - وعرضي وأفر لم يكلم - فنفى بذلك استهلاك المال فيما لم يشكر عليه مع نفي كل ما يندح في العرض فبيت عنزة حينئذ أبلغ وأما البيت الثاني فقول عنزة - ما أقصر عن ندى - فيقتضى أنه لا يترك أمامه غاية لا يصل إليها ولا ينقص عن فعله يمكن فعلها ولم يصرح ببقاء شيء في حالة السكر وحاتم صرح بذلك بل وناقض فانه قال - ما مَلَكَتْ يَدِي - وذكر باقياً فيينا عنزة أبلغ من بيتى حاتم وأحكم. ومن ذلك السجع وعدمه بحسب مواضعه ومن عاب السجع مطلقاً فخطئ لأن السجع في كتاب الله كثير وفي كلام النبي صلى الله عليه وسلم والفصحاء كقوس وسنجان وإنما يعاب السجع إذا احتاج متكلفه إلى تنقيص المعنى أو زيادته وفعل ذلك فالذي فاته من المعنى يقبح وترك السجع لا يقبح فيكون حينئذ السجع قبيحاً لاستلزام القبح وبهذا بحباب عن قول النبي صلى الله عليه وسلم أسجما كسجع الكهان فانه لو عاب السجع مطلقاً لما نطق به ولا يمكنه أن

بعبه مطلقاً لجيشه في كتاب الله تعالى كثيراً فالعيب هو سجع مخصوص وهو الذي مثله بسجع
الكهان وهو الذي يتقص المعنى أو يزيد . . . والسجع في الكلام المنشور أن نجعل مقاطعه
وقواسمه على روى واحد وقافية واحدة كصروب الشعر ملتزماً فيه ما التزم فيها وليؤخذ
ذلك من علم القوافي وأجود السجع ما تساوت فصوله ثم الذي يزيد الفصل عما قبله زيادة
لا يبلغ حد التافر بين الفصلين في الطول والقصر فأما ما نقص فيه الفصل عما قبله فقد
قبل أنه قبيح وليس يقبح مطلقاً بل إذا حصل التافر فلا فرق بين أن يزيد الثاني عن
الاول أو يتقص إذا لم يحصل التافر وقد جاء جميع ذلك في القرآن العزيز وأمثله كلها
في سورة الضحى . . . والتفنية والتصريع والتوشيح في الشعر من هذا الباب والتفنية والتصريع
كثر استعمالهما في أول بيت في القصيدة جداً ولو لم يكن ذلك حسناً لما استكثر منه
العرب وربما كرهه العرب في القصيدة ولم يكثر ذلك وقلم يكثر التكرار لشاعر في
القصيدة الواحدة فيقبح أن كثر التكرار في القصيدة الواحدة . . . والفرق بين التصريع
والتفنية أن التصريع رد العروض على وزن الضرب ورويه زيادة أو نقص والتفنية لا يرد
فيها العروض على وزن الضرب لأنه قد يكون وزناً واحداً فلا يقتصر إلى رد وهذا
اصطلاح الخليل ومن تابعه في علم العروض . . . وأما ما عرف العرب فإطلاق التصريع على
النوعين مثال التصريع قول امرئ القيس

قفا بئكِ من ذكرى حبيب وعرفان ورسم عفت آياته منذ أزمان

عروض هذه القصيدة مفاعلهن مقبوضة وضربها مفاعيلن صحيحا سالماً فقد ردت العروض
إلى وزن الضرب بزيادة وقوله أيضاً

لمن طائل أبصرته فشحاني كخط زبور في عيب يمانى

عروض هذه القصيدة أيضاً مفاعلهن ردت إلى وزن الضرب وهو مفعولن محذوفاً فقد
ردت إليه بنقص . . . وأما التفنية فمثالها قوله أيضاً

قفا بئكِ من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول غومل

عروض هذه القصيدة وضربها مفاعلهن مقبوضين فلم يخرج في ذلك إلى زيادة ولا نقص
. . . ومن ذلك التجنيس وهو من أقسام البديع ويتعلق بتحسين الالفاظ وإذا تكلفه المتكلم

غير محل بالبيان اجتمع الحسن والبيان وهو أشرف من البيان ولا حسن وإن أخل متكلفه
 بالبيان كان البيان أشرف منه هذا وجه تعلقه بالبيان وهو أعنى التجنيس أن يأتي التكلم في
 كلامه بحرف أو حرفين ثم يأتي بهما نيباً في أثناء ذلك الكلام من غير أن يكون بينهما بعد بحيث
 يتصرف فيه الذهن عن الأول ولعل ذلك أن يكونا مجتمعين في بيت من الشعر ونحوه
 من الكلام ولا بد أن يكون المتجانسان مختلفي المعنى وكل واحد من المتجانسين إما أن
 يكون كلمة أو أكثر من كلمة أو بعض كلمة فيرجع هذا إلى ستة أقسام كلمة وكلمة . كلمة وأكثر من
 كلمة . كلمة وبعض كلمة . أكثر من كلمة وأكثر من كلمة . أكثر من كلمة وبعض كلمة . بعض
 كلمة وبعض كلمة . وكل واحد من هذه الأقسام الستة إما أن يستويا بالنسبة إلى الحركات
 والسكنات أو لا يستويا وكل واحد من هذين القسمين إما أن يستويا فيه أعنى المتجانسين
 أو لا يستويا فينقسم كل قسم من الستة إلى أربعة أقسام فتنتهي الأقسام إلى أربعة
 وعشرين قسماً . الأول أن يكون التجنيس في كلمتين متساويتين ترتيب الحروف وحركاتها
 وسكناتها كقولك يحيى يحيى . والثاني في كلمتين متساويتين ترتيب الحروف لا حركاتها
 وسكناتها كقولك على يوسف يوسف . والثالث في كلمتين متساويتين في الحرف والوزن
 لا الترتيب كقولك زيد قائم مائق . والرابع في كلمتين متساويتين في الحرف لا الوزن والترتيب
 كقولك زيد كريم بكر . والخامس أكثر من كلمة مع كلمة متفقة في الحروف والوزن
 والترتيب كقولك روتى أباريقك إذ أبى ريقك . والسادس أكثر من كلمة مع كلمة متفقة في
 الحروف والترتيب لا الوزن كقولك بامالك مالك . والسابع أكثر من كلمة مع كلمة متفقة
 في الحروف والوزن لا الترتيب كقولك مالي لائم . والثامن أكثر من كلمة مع كلمة متفقة
 في الحروف لا الوزن والترتيب كقولك سليمان مابنسل . والتاسع كلمة مع بعض كلمة متساوية
 الحروف والوزن والترتيب كقولك زيد فد عاقد . والعاشر كلمة مع بعض كلمة متساوية
 الحروف والترتيب لا الوزن كقولك جدبا ما جد . والحادي عشر كلمة مع بعض كلمة
 متساوية الحروف والوزن لا الترتيب كقولك أنصف من غام . والثاني عشر كلمة مع
 بعض كلمة متساوية الحروف لا الوزن والترتيب كقولك دس الحاسد . والثالث عشر
 أكثر من كلمة مع أكثر من كلمة متفقة في الحروف والوزن والترتيب كقولك ما أنصفك

وزيد ما أنصفك • والرابع عشر أ. كثر من كلمة مع أ. كثر من كلمة متفقة في الحروف
والترتيب لا الوزن كقولك من أسرى بك من أسراك • الخامس عشر أ. كثر من كلمة
مع أ. كثر من كلمة متفقة في الحروف والوزن لا الترتيب كقولك مادهاك مادهاك
• والسادس عشر أ. كثر من كلمة مع أ. كثر من كلمة متفقة في الحروف والوزن والترتيب
كقولك من دعاك من دعاك • والسابع عشر أ. كثر من كلمة مع بعض كلمة متفقة في الحروف
والوزن والترتيب كقولك ع ماقلت منعا • والثامن عشر أ. كثر من كلمة مع بعض كلمة متفقة
في الحروف والترتيب لا الوزن كقولك عم عمران • والتاسع عشر أ. كثر من كلمة مع
بعض كلمة متفقة في الحروف والوزن لا الترتيب كقولك ادحض السوات أو كن كانوا
• والعشرون أ. كثر من كلمة مع بعض كلمة متفقة في الحروف والوزن والترتيب
كقولك سر من سرمين • والحادي والعشرون بعض كلمة مع بعض كلمة متساوية الحروف
والوزن والترتيب كقولك قلان شيطان لبطان • والثاني والعشرون بعض كلمة مع بعض
كلمة متساوية الحروف والترتيب لا الوزن كقولك ساءني حمام حمزة • والثالث والعشرون
بعض كلمة مع بعض كلمة متساوية الحروف والوزن لا الترتيب كقولك عمرون
معروف • والرابع والعشرون بعض كلمة مع بعض كلمة متساوية الحروف لا الوزن
والترتيب كقولك قيصر يقصد

وتجنيس التصحيف هو الذي يدركه الكاتب بالبدية من غير فكر كقوله تعالى
وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا • • والتصحيف نوعان مستقيم ومعكوس فالستقيم مثل
عبير وعبر وانعكوس مثل مشمس وسمسم وليس من شرط التصحيف استيعاب جميع
الحروف وقد يستوعب مثل غيث وغيث وعنب وغرب وزرع ومن الحروف ما لا يصحف اذ
لا مثل له وهي الألف والميم والواو والهاء • • ومن المصحف حروف تختلف صورها
بالنسبة الى إفرادها واتصالها بغيرها وبكونها في أول الكلمة ووسطها وآخرها والسين
والشين كل واحد منهما يتصحف بثلاثة أحرف من خمسة أحرف هي الباء والتاء
والثاء والنون والياء • والكاف واللام في الحقيقة ليسا بثلاثين وقد جرت العادة أن يجري
في التصحيف مجرى الثلاثين وأحسن التصحيف من ذلك ما لا يختلف فيه الصور كقوله

تعالى ننشرها وننشرها وهو الذي عدناه تخبيا. وقد قسم أهل البيان والبدیع
التنجيس الى أقسام لاتنوعب. الأول المطلق وهو ما استوى لفظه تركيبا ووزنا كقوله
تعالى ويوم تقوم الساعة يُقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ومنه قول الشاعر
ومرّى سوابق دمعها فتوا كفت ساقٍ يجابو فوق ساقٍ ساقا
وقول أبي اسحاق ابراهيم بن عثمان المغربي
لم يبقَ غيرك انسانٌ يلاذُ به فلا برحتَ لعينِ الدهرِ إنسانا
وقول بعضهم

قلتُ للقلبِ مادهاك أجنى قال لي بائعُ الفراء قرّاني
الثاني وهو أن تكون الالفاظ متساوية التركيب مختلفة الوزن ومنه قول بعض
الكتاب في صفة كتاب وصل اليه فللزهر والزهر من نور بداعته ونور براعته اشراق
وقول ابن العميد

قد ذبتُ بينَ حشاشةٍ ودماء ما بينَ حرٍّ هوّى وحرٍّ هوّاء
الثالث وهو أن تكون الالفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد لاغير
وان زاد على ذلك خرج من باب التنجيس وهذا التحجر لامعني له اذ لم يستحسن في الطبع
الاشتراك لا الاختلاف وفي قوله تعالى فادلى دلوه ما برد على زاعم ذلك فانه أحسن من
أدلى ذنوبه وألّى دلوه فمن ذلك قوله تعالى وجوء يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وقوله
تعالى ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تترحون وقوله تعالى
وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم الخيل
معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة . . . وقول أبي تمام

يمدّون من أيدي عواصٍ عواصم تَصُونُ بأسيا في قواضٍ قواضبٍ

وقول البحترى

من كل ساجى الطرفِ أغيدٌ أجيدٌ ومُهْمَهْمَبِ الكشْحَيْنِ أحوى أحوِرِ
وقول بعضهم لاثال المسكارم الابلسكاره . . . الرابع وهو ان تكون الالفاظ مختلفة في
التركيب بحرف واحد كقوله تعالى والنفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق

وقول البحزى

نسيمُ الروضِ في ربيعٍ شمالٍ وصوبُ المزنِ في راحٍ شمولٍ

وقول بعضهم

قوفزُهُ بينَ أيدي العُرفِ مشهبٌ وعِرضُهُ عن لسانِ الذمِّ مؤفور
الخامس وهو المعكوس وهو ضربان أحدهما عكس الألفاظ والآخر عكس الحروف
فالأول كقول بعضهم عادات السادات سادات العادات وكقول الآخر شيم الأحرار
أحرار الشيم وقيل للحسن بن سهل لاخير في السرف فقال لا سرف في الخبر .. ومن
هذا القسم قول عتاب بن ورقاء

إنَّ الليالى للأنامِ مناهلٌ تطوى وتنشرُ بينها الأعمارُ
فقصَّارُهُنَّ معَ الهومِ طويلةٌ وطوالُهُنَّ معَ السرورِ قصَّارُ

وقال آخر

كم من حمارٍ على جَوَادٍ ومن جَوَادٍ على حمارٍ
وقدامة بن جعفر سمي هذا التبديل .. ومثله بقول بعضهم أشكر من أنعم عليك وأنعم
علي من شكرك . ومنه قوله تعالى يخرج المعنى من الميت ويخرج الميت من المعنى ..
والثالث من هذا القسم عكس الحروف كقول بعضهم

أهديتُ شيئاً يَفْلُ لولا أهدوتُ الفأل والتبرك
كرسى ففألت فيه لما رأيتُ مقلوبهُ بسرُّك

وقول الآخر

كيف السرورُ باقبالٍ وآخرُهُ إذا تأملتَهُ مقلوبُ إقبالٍ
السادس وهو الخنثى وذلك ان يجمع المؤلف بين كلمتين أحدهما كالمتبع الأخرى والجنسية
لها كقول بعضهم

أبا العباس لا تحسبْ باني لسنى من حلى الأشعارِ عارى
فلى طبعٍ كسكسالى معينٍ زلالٍ من ذرى الأحجارِ جارى
السابع وهو ما تساوى وزنه وتركيبه غير ان حروفه تقدم وتأخر وذلك

كقول أبي تمام

بيض الصفائح لاسود الصفائح في مَنُونٍ جلاله الشك والريب
ومن المختلف الريب نوع حسن يتعكس كنهه ولا يتغير معناه كقوله تعالى كل في فلك
ومنه رب بر . ولا يكاد يزداد في هذا الباب على ما أتى به الحريري في مقاماته . . ومن
ذلك التصحيح وهو نوعان أحدهما ان تكون أجزاء الفصل الأول مساوية لأجزاء
الفصل الثاني وزناً ودوياء . . والنوع الثاني ان تكون مساوية لأجزاء الفصل الثاني
وزناً لاروياء . . مثال الأول قول الخطيب عبد الرحيم بن نباتة . . الحمد لله عاقد أزيمة
الأمور بعزائم أمره . وحاصد أئمة الغرور بقواصم مكره . وموفق عبيده لمغانم ذكره .
ومحقق مواعيد بلوازم شكره . ومن ذلك قوله أيضاً . أولئك الذين أفلوا فنجحتهم
ورحلوا قاذم . ومنه نظماً قول ذي الرمة

كحلالة في برج نجلاء في دَعَجٍ كأنها فضة قد شابهها ذهب

مثال الثاني قول تأبط شراً

حائل الريبة شمه أذ أندية قوال محكمة جواب آف

وقول الخنساء

حامي الحقيقة محمود خليفة ممدى الطريقة فطاع وضرار

وقول الآخر

سود ذوائبها بيض تراثها محض ضرائبها صيغت من الكرم

وليس في هذا من البيان إلا أنه يستحيل السماع بحسنه إلى فهم معناه . . ومن ذلك لزوم
ملا يلزم وهو أن يلتزم الناظم أو الناثر من الحروف حرقاً أو أكثر قبل الروي ومع ما
قبله من الحروف اللازمة كالتأسيس والردف إذا كان ألفاً وإذا لم يكن الردف ألفاً
تعاقب فيه الواو والياء فتو التزم أحدهما لكان أيضاً من لزوم ملا يلزم . . والحرف
الملتزم الاكمل أن يلتزم معه حركته ولو لم يخرج الحرف عن كونه ملتزماً والحرف
الملتزم قبل الردف لو تعاقت بعده الواو والياء لزم أن تختلف حركته ولا يخرج عن
كونه لزوم ملا يلزم ولم يشق أحد لاشيخ أبي العلاء المعري غداً في لزوم ملا يلزم

ولم يعمل أحد فيه شيئاً له إلى عمله نسبة تعتبر ومع اكثاره من ذلك فكل ما عمله جيد وأجود ومن زعم أن فيه ردياً فيجهله وسوء فهمه ولا يقال إنه أتى فيه بالحوشى من الكلام مع التزام ما لا يزم وتركها أحسن من الاتيان بهما لأن مصنفاته كلها مبنية على أن يكثر فيها من نقل اللغة حوשיها ومألوفاً ومع ذلك لا يكاد يكون له بيت كثر حوשיه حتى أنه لا يفهم بل يستعمله بين المألوف ولا يعاب الحوشى إذا كان كذلك انما يعاب منه ما كثر في بيت فنح من فهم معناه أكثر سامعيه من أهل الادب وليس في لزومات الشيخ أبي العلاء ما يخاطب به ممدوح ولا مهجواً ولا امرأة ولا معشوقاً فيخاف من سوء فهمه وانما خطابه لحكام الناس وأئمة الادب ومن تبحر في معرفة كلام العرب فما التزم فيه حرفاً واحداً قوله

إذا دأب دعاك لرشد امرئ	قلب ولا يفتك له أتباع
تغير ملك حبر ثم كسرى	ولم تقبل تغيرها الطباع
وجدت الناس في جبل وسهل	كانهم الذئب أو الباع
رجال مثلما آهترشت كلاب	ونسوان كما اغتلم الضباع
أزال الله خيراً عن أمير	له ولد على علم يباع
جوار كاثياق بسفن عنه	وفي أحشائهن له رباع

ومما التزم فيه حرفين قوله

تجنب حانة الصبيان واحجز أبداً حانك ولا ترسل على الناقة في الفة له سرحانك
ولا ترفع لغير الله في الحنيس الحانك ويادهر لحالك الله ما هنأت فرحانك
ولا تلبث أن تضحك بالنسيان رحانك وما أخلبت من سقم يقض الجسم فرحانك
فقل روحك مولانا لراجيك وربحانك فقد أجريت جميعاً نك في الأرض وسبعانك
وقد أرسلت شيا نك بالرزق وملحانك فسبعانك والعا جز من يترك سبعانك
ومما التزم فيه ثلاثة أحرف قوله

يا كل التفاح لا تبعذن	ولا يقم يوم ردى ناكلك
قال النصيرى وما قلته	فاسمع وشجع في الوغى ناكلك

قد كنت في دهرِكَ نفاحةً وكان نفاحك ذا آكلك

وحرف حاجٍ لُحت فيما مضى وظل ما تشكُّلهُ شا يهلك

وربما قيل ان الكاف الأخيرة وصل والروى اللام فتكون الالف تأسيساً فلا يكون
المتنزم الاحرفاً واحداً وهو الكاف الأولى وهذا مما ليس عليه أرباب علم القوافي اذ لم
يمدوا في حروف الوصل كافاً فيجوز حينئذ تشكُّلك مع نا كلك واستعمال لزوم ما لا يلزم
في النظم والنثر سواء ودخوله في البيان كدخول ما قبله من ملح البديع . . ومن ذلك
الموازنة وهي ان تكون الكلمة التي هي خاتمة الفاصلة الأولى على زنة الكلمة التي هي
خاتمة الفاصلة الثانية كانت على رويها أو لم تكن ومثال ذلك قوله تعالى . والعاديات
ضبيحا فالنوريات قدحا . ثم قال تعالى في السورة فأثرون به نفعاً فوسطن به جمعا . ثم قال
تعالى في السورة وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد أفلا يعلم اذا بهز ما في
القبور وحصل ما في الصدور ومنه قوله تعالى . والصافات صفا فالزاجرات زجراً
ومنه قول الشاعر

طافَ ببني نجوةٍ من هلاكٍ فهلك

ليتَ يشعري ضلَّةً أيُّ شيءٍ قتلك

أمريضٌ لم تعدْ أم عدوٌّ ختلك

إن . أمراً قادِحاً عن أجوابي شغلك

هذه الموازنة البنائية ويظهر فيها في الحسن الموازنة العروضية ومثالها الآيات الحس المتوالية
من أول المرسلات . والموازنة في كتاب الله وفي الكلام المنظوم والشعر كثيرة
جداً وحفظها من البيان دون حظ الترصيع ونسبتها الى الترصيع كنسبة البسيط الى
المركب . . ومن ذلك اختلاف صيغ الكلام لثلاث يتكرر فيثقل وتعبه الأسباع . واذا
تكرر واختلف المعنى وكان في الكلام دليل على معنى كل واحد من المتكررين فهو
التجنيس المذكور قبل وهو مما يستحسن ولا يجنب فان لم يكن في الكلام ما يفي بتبيين
المعنيين والعاق كل واحد منهما بلفظه فذلك مما ينبغي ان يجنب ولا يؤتى لكونه محلاً
بالبيان فاجتناب هذا النوع من قواعد علم البيان واجتناب الأول من باب البديع

الذي هو من محاسن الألفاظ . مثال الأول قول إبراهيم بن سيار للفضل بن الربيع
بنى أسأت وما أسأت وما أسأت أت أقرصكى يزداد طولك طولا

ومثال الثاني وهو مبين في الكلام قول الشاعر

لعمري لقد حببت كل قصيرة إلى وان لم تدرك ذلك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد قصائر الخطا شر النساء البحار

فلو اقتصر على البيت الأول لكان معيلا لاحتماله القصر والقصر . . والقيح قول
كشاجم في المديح

عسرة نفية صباح سمح بأعراضهم شحاح

لان الباء في قوله بأعراضهم يجوز أن تتعلق بسمح فيكون هجوا ويجوز أن تتعلق بشحاح
فيكون مدحا فهو ملبس بين المدح والهجو وليس في البيت ما يعين أحدهما وهذان
المعنيان معلومان مما تقدم في الكتاب ولو لم يذكر الاستغنى عنهما أكثر الناس ولم يكن
بتركهما من بأس

ومن ذلك تكرار الحروف مع القدرة على ترك تكريرها فانه مما يقع في الكلام
ويثقل على المتكلم ولذلك عمد العرب الى ادغام أحد التلين في الآخر في مثل قولهم
يجعل لك وشد ومد . والى ابدال أحد التلين بآء في قولهم أمليت في أمليت والى
حذف إحدى التلين من الفعل المضارع الذي أجنعتا في أوله في مثل قوله . ولا
تنازعوا فتفشلوا . وما استكره لشكر حروفه قول الأعشى

وقد غدوت الى العانوت . يتبعى شاد مثل تشول شل شول

قال مصححه محمد بدر الدين عفا الله عنه

تم الكتاب والله الحمد أولا وآخرا وفي آخر الأصل نقول عنه مانعه
قرأ على كتاب الاقصى القريب في علم البيان هذا في هذه النسخة الفقيه الامام العالم
الفاضل الكامل البارع المثقن المحقق عز الدين أبو عبد الله محمد ابن الفقيه الامام العالم

البارغ الأوحد الامجد كمال الدين أبي العباس أحمد ابن الفقيه الامام العالم الفاضل الكامل
البارغ الاجل الجليل جمال الدين أبي اسحاق ابراهيم عرف بابن الاميوطي ادام الله رفقته
من أوله الى آخره قراءة بحث عن دقائقه ومعانيه واتقان لتربيته ومبانيه كاشفا عن غوامضه
واسراره وأجزت له اقراءه وروايته عن كيف شاء ولمن شاء ومتى شاء على الشريطة
المعتبرة في مثله شرعا وانا محمد بن محمد بن محمد بن عمرو التوخي مؤلف الكتاب
المذكور وكتب غنه باذنه وحضوره أخوه لآثيه عبد المجيد في يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر
ربيع الاول من سنة ٦٩٢ للهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وازكى التحية

